المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
إدارة الثقافة والنشر



بحوث في ثقافة الطفل المسلم
- ٨ -

فتح الأندلس في أدب الأطفال
دراسة نقدية

تأليف
محمد بسام ملص

١٤١٥هـ / ١٩٩٤م

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
إدارة الثقافة والنشر



بحوث في ثقافة الطفل المسلم
- ٨ -

فتح الأندلس في أدب الأطفال
دراسة نقدية

تأليف

محمد بسام ملص

١٤١٥هـ / ١٩٩٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

ح جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤١٥هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية.
ملص ، محمد بسام
فتح الأندلس في أدب الأطفال : دراسة نقدية.
٨٨ ص ؛ ١٧,٥ × ٢٥ سم.ـ (بحوث في ثقافة الطفل المسلم : ٨)
ردمك ٢ـ٧١ـ٠٤ـ٩٩٦٠
١ ـ فتح الأندلس ٢ ـ أدب الأطفال
أ. العنوان. ب ـ السلسلة

ديوي ٩٥٣,٨٧١ ١٥ / ٠٢٣٢

رقم الإيداع : ١٥ / ٠٢٣٢
ردمك : ٢ـ٧١ـ٠٤ـ٩٩٦٠

تـقـديـــم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد

فعناية الإسلام بالنشىء تتوجه إلى تربيته وحسن تنشئته؛ ذلك لأنهم شباب المستقبل ورجال الغد. هم امتداد الحاضر، ودعاة المستقبل، وحملة رسالة الإسلام إلى البشرية بإذن الله، ومن حقهم على الأمة أن تؤمِّن لهم الرعاية الكاملة والتوجيه السليم القائم على أساس راسخ من الإيمان بالعقيدة الإسلامية الصحيحة.

ومن هنا فإن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميَة في مسيرتها الحثيثة لنشر العلم خدمة للإسلام والمسلمين قد أخذت بالوسائل الممكنة في رعاية النشء المسلم وتقديم الزاد الفكري المناسب له من خلال تعريفه بعقيدته الإسلامية وذلك بنشر العديد من السلاسل المفيدة فى ذلك منها: «من ينابيع الثقافة» و «قصص إسلامية» و (بحوث فى ثقافة الطفل المسلم) ويسرنا تقديم بحث جديد في هذه السلاسل بعنوان (فتح الاندلس فى أدب الأطفال) للأستاذ محمد بسَّام ملص، وقد تناول فيه ما يهم الباحثين فى ثقافة الطفل المسلم وتعليمه.

نسأل الله أن ينفع به، وأن يعيننا على تقديم المزيد من الثقافة والأعمال ذات الفائدة للجميع. وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

الثقافة والنشر

مقـــدمة :

الحمد لله نستعينه، ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا.

وبعد : فهذه دراسة تتناول رواية جورجي زيدان «فتح الأندلس»[1] التي أعدها محمود سالم للنشء، وقد سبق لإدارة الثقافة والنشر في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية أن نشرت دراسة عام ١٤٠٩هـ (١٩٨٨م) عن رواية معدة أخرى لزيدان تحمل عنوان «عذراء قريش» في إطار اهتمام الجامعة بثقافة الطفل المسلم.

ويبدو أن روايات زيدان التاريخية تلقى اهتماماً لدى الناشرين، ولعل سعي دار النشر في إعـدادها للنشء ونشرها يعكس اهتماماً كبيراً بها بغض النظر عن طريقة عرضهـا للتـاريخ الإسـلامي وأثر ذلك عليهم، فالنشء وهم يقرأون عن التاريخ الإسلامي ورجاله في هذه الروايات المبسطة لابد أن ينظروا إلى تاريخ أمتهم كما ورد في الروايات، لهذا ألقت الدراسة ضوءاً علي جوانب تاريخية عديدة وأمور لها صلة بالفتح كما بينتها الرواية.

وقد قُسمت الدراسة إلى ثلاثة فصول : الفصل الأول عرض للرواية المبسطة من حيث الحوادث والشخصيات ثم مقارنة بينها وبين الأصل، والفصل الثاني نقد يشمل الجوانب التاريخية وأموراً عن العقيدة والجهاد وأهل الذمة، والفصل الثالث أحكام ونتائج مستخلصة من الدراسة.

---

(١) صدرت الرواية في بيروت عام ١٩٧٨م (١٣٩٨هـ) في سلسلة أعدها محمود سالم تحمل عنوان « روايات تاريخ الإسلام للفتيان والفتيات » وتضم ثماني روايات من روايات زيدان : فتح الأندلس و ١٧ رمضان وفتاة القيروان وصـلاح الـدين الأيوبي وعذراء قريش والمملوك الشارد والحجاج بن يوسف وعبدالرحمن الناصر . ولمعد هذه الروايات تجربة في الكتابة للنشء منها مشاركته في تأليف عدة أجزاء من سلسلة «تاريخ العرب والإسلام للفتيان والفتيات (١٩٧٧-١٩٧٨م / ١٣٩٧-١٣٩٨هـ). وللتمييز بين الرواية الأصلية والمعدة في الهوامش تذكر كلمة زيدان فقط إلى جانب الأصل حسب ما هو متبع في كتابة الهوامش.

تمهيـــــد

«فتح الأندلس» رواية أعدت ليقرأها النشء تشمل فيها تشمل على قصة حب وسط أجواء من الفتن والدسائس والشهوات كما تضم أمر محالفة المسلمين لليهود والنصارى وما بذله هؤلاء ليحققوا نصر المسلمين في الأندلس، ولكن قصة الفتح غير هذا تماماً فهي جهاد المسلمين لإزالة طواغيت الكفر والضلال والقهر والظلم إعلاءاً لكلمة الحق، وهي قصة رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وأخذوا بأسباب الدعوة لله ونصروه فنصرهم وأيدهم وثبت أقدامهم.

صحيح أن المسلمين في هذه المواجهة مع قوى الكفر في الأندلس كانوا أقل عدداً وعدة من عدوهم يحاربون في أرض ما خبروها إلا أنهم كانوا متسلحين بالعقيدة التي هي أبرز مقومات الانتصار، فينبغي أن يرى الفتح فيما امتاز به الجيش الإسلامي من عقيدة فكان النصر بها لا بغيرها[1]، وقد كان مشروع الفتح إسلامياً يمتد إلى أيام الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، فقد صرّح: «أما بعد فإن القسطنطينية إنما تفتح من قبل الأندلس»[2]، فالفتح لم يكن إلا حلقة في سلسلة الفتوحات الإسلامية وقد وضع المسلمون نصب أعينهم هدفاً عزيز المنال هو فتح القسطنطينية عاصمة الامبراطورية البيزنطية لاسيما أن المغرب العربي في ذلك الوقت كان ولاية تابعة لها[3]، فكان الفتح نتيجة طبيعية لاتمام فتح المغرب العربي[4].

وتبين قصة الفتح بجلاء أموراً مهمة في أخذ المسلمين بالأسباب، فقد اهتمت القيادة العليا ممثلة بموسى وقواده بتحصين بلاد المغرب وتجهيز الجيوش وبناء المراكب وشل حركة الروم في البحر[5]، وكان هناك اختبار للأندلس بالسرايا قبل فتحها فقد

---

(١) عبدالرحمن الحجي التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ص ٣١ ـ ٣٥.
(٢) الطبري تاريخ الأمم والملوك م ٣ جـ ٥ ص ٥٠ .
(٣) أحمد مختار العبادي في تاريخ المغرب والأندلس ص ٢٤٥ .
(٤) موسى لقبال المغرب الإسلامي ص ٩٣ .
(٥) أحمد مختار العبادي دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ص ١٣ .

كان الخليفـة نفسه حريصاً ألاّ يغرر بالمسلمين[1]، وهذا كله يدخل في باب الأخذ بالأسباب، فلم يكن فتح الأندلس مغامرة حربية إرتجالية دُفع اليها المسلمون بل كان فتحاً جليل القيمة قد تم بموجب خطة محكمة دلت على قيادة حكيمة واعية أفلحت لأنها صدقت.

ولاتنس ـ أيضاً أن قصة الفتح هي قصة امتزاج العرب والبربر في أمة الإسلام ولم يكن هذا الامتـزاج وليد ساعة أو صدفة، وإنما كان نتيجة جهود المجاهدين في المغرب منذ أن وطأت أقدامهم البلاد لأول مرة فاتحين مبشرين بالدين الحنيف وقد حرصوا على نشر الإسلام، فكان أن دخل أهل البلاد في الإسلام أفواجاً وقد أدركوا سماحة هذا الدين وعدله واكتشفوا ذاتهم في ظلاله وتبينوا أهمية دورهم[2] فكان لهم دور مميز في الفتح.

(١) المرجع نفسه ص ١٤ و ١٧ .

(٢) المغرب الإسلامي ص ٩٦ .

الفصل الأول : فتح الأندلس بين الأصل والإعداد :

أولاً : الرواية الأصلية :

لابد من ذكر أمور عن رواية جورجي زيدان[1] «فتح الأندلس» قبل البحث في الرواية المبسطة التي تحمل العنوان نفسه، فهذه الأمور ترتبط بتلك الرواية من حيث أنها تبين موقف زيدان من الإسلام والتاريخ الإسلامي بصورة عامة، وتظهر موقفه من تاريخ فتح الأندلس بصورة خاصة.

تدور حوادث رواية جورجي زيدان في العامين الهجريين ٩٢و٩٣ (٧١١-٧١٢م) اللذين شهدا فتح المسلمين للأندلس[2] ودخولهم إياها رافعين راية الإسلام، وقد اعتمدت رواية زيدان على قصة حب بين فلوروندا ابنة يوليان[3] حاكم سبتة[4] والفونس

(١) ولد جورجي زيدان (١٨٦١ - ١٩١٤م / ١٢٧٨ - ١٣٣٣هـ) في لبنان وتعلم فيها، ثم انقطع عن الدراسة إلى أن التحق بكلية الطب، ثم ذهب إلى مصر ليتابع دراسته، وعمل مترجماً ورافق الحملة الإنجليزية على السودان فقد كان يعرف عدة لغات منها الإنجليزية والفرنسية، وكتب في اللغة والتاريخ والجغرافية والسير وله ٢٢ رواية في سلسلة «روايات تاريخ الإسلام» كان ينشرها في مجلة الهلال التي أنشأها عام ١٨٩٢م (١٣١٠هـ) وقد كانت له علاقة وثيقة ببعض المستشرقين. تحمل كتاباته في التاريخ الإسلامي مفتريات وشبهات كثيرة (جرجي زيدان في الميزان ص ١٥ - ٢٢) . كتب روايته « فتح الأندلس » عامي ١٩٠٢ - ١٩٠٣م (١٣٢٠ - ١٣٢١هـ) ونشرها لأول مرة في مجلة الهلال (السنة الحادية عشرة - اكتوبر ١٩٠٢ - يوليو١٩٠٣م ملحق ص ١ - ٣١٤)، وقد أعادت دار مكتبة الحياة في لبنان نشر جميع أعماله ومنها رواياته التاريخية، وأعيدت طباعة رواية «فتح الأندلس» ثلاث مرات دون تحديد تاريخ طباعتها .

(٢) مصطلح الأندلس مأخوذ من الوندال Vandals الذين سكنوها نحو القرن الثالث والرابع الميلاديين وسميت البلاد باسم الأندليش أو فاندليسا أي بلاد الوندال، ثم نطقت بالعربية الأندلس (ابن الأثير الكامل في التاريخ جـ ٤ ص ٥٥٦ والحميري الروض المعطار في خبر الأقطار ص ٣٢ وابن عذارى البيان والمغرب في أخبار الأندلس والمغرب جـ ٢ ص ١ و المقّري نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب جـ ١ ص ١٣٣ - ١٣٤ والتاريخ الأندلسي ص ٣٧) .

(٣) من المرجّح أن يوليان كان عاملاً من عمال الملك لوذريق على طنجة وسبتة بعد أن كان تابعاً للدولة البيزنطية (أخبار مجموعة في فتح الأندلس ص ١٥ وابن عبدالحكم فتوح مصر والمغرب ص ٢٧٦ وابن الكردبوس الاكتفاء في أخبار الخلفاء ص ٤٢ و ٤٣ والكامل في التاريخ جـ ٤ ص ٥٦١ والروض المعطار ص ٣٤ ونفح الطيب جـ ١ ص ٢٣٢ وحسين مؤنس فجر الأندلس ص ٥٢ - ٥٤ وسوادي عبد محمد طارق بن زياد ص ١٦) .

(٤) سبتة : مدينة عظيمة على الخليج الرومي المعروف بالزقاق وهي تقابل الجزيرة الخضراء (الروض المعطار ص ٣٠٢).

ابن ملك أسبانية السابق غيطشة وولي العهد الشرعي الذي اغتصب عرشه الملك لوذريق ملك القوط[1] بعد أن قتل أباه، وكان حاكم سبتة يوليان قد أرسل ابنته فلورندا إلى قصر الملك لوذريق في طليطلة[2]على عادة النبلاء وحكام المقاطعات في إرسال أولادهم ليتعلموا آداب القصور[3]، وكانت فلورندا قد خُطبت إلى الفونس غير أن الملك لوذريق حاول أن يغتصبها بعد أن فشل في أن يتزوجها، فتتمكن من الهرب من قصر لوذريق، وتتعرض لمتاعب عديدة في طريقها إلى والدها يوليان الذي انضم إلى المسلمين استعداداً لفتح الأندلس، وتجتمع بخطيبها بعد أن حاول لوذريق أن يباعد بينهما بكافة السبل.

وإلى جانب هذا الخط الروائي التاريخي الخاص بالأندلس قبل الفتح يسير خط ثان يركز فيه المؤلف على جهود النصارى واليهود لتمهيد الطريق أمام المسلمين للفتح، في حين يبدو الخط الثالث المتصل بجهاد المسلمين هامشياً إلى حد كبير وإن كانت معالمه تتضح بعض الشيء في نهاية الرواية ولكن من وجهة نظر زيدان، وقد رغب في أن يكون الحب الذي جمع بين فلورندا والفونس ـ وهو لا يمت إلى الوقائع التاريخية بأية صلة ـ مؤثرا في مجريات الحوادث فيترك أثراً واضحاً لتحديد دوافع الشخصيات (وخاصة شخصيات الجانب غير الإسلامي) في الرواية مثل الفونس وفلورندا ويوليان ولوذريق ويعقوب وسليمان، كما تمكن من جعل قصة الحب الخيالية تتخلل الحوادث التاريخية بصورة تبدو منسجمة إلى حد ما مع تلك الحوادث على الصعيد الفني الروائي.

يعد الواقع التاريخي الخاص بالأندلس قبل الفتح مادة طيبة يمكن لأي كاتب إسلامي أن يستفيد منها في عمل أدبي، فهناك أحوال أهمها التي اتسمت بالظلم والقهر بسبب اتّباع الحكام أهواءهم وفساد إدارتهم وسوء تدبيرهم وما جرّ هذا على الناس من

---

(١) القوط: جماعة جرمانية احتلوا الأندلس في أوائل القرن الخامس الميلادي بعد طردهم للوندال (ابن خلدون كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر م ٢ جـ ٢ ص ٢٣٥ انظر فجر الأندلس ص ٢ ـ ٣ والتاريخ الأندلسي ص ٢٩ ـ ٣١).

(٢) طليطلة: إحدى المدن الأندلسية المهمة وكانت دار الملك حين دخلها طارق وهي حصينة ولها أسوار حسنة (الروض المعطار ص ٣٩٣).

(٣) الكامل في التاريخ جـ ٤ ص ٥٦١ انظر البيان المغرب جـ ٢ ص ٧ ونفح الطيب جـ ١ ص ٢٣٣.

عسف وحرمان وقهر وبؤس ، وقد أظهر زيدان جوانب من هذه في روايته وهذا يذكر من باب الأمانة والموضوعية فبدا ظلم لوذريق وطغيانه[1] وفسقه وسوء تدبيره وغروره وما يرتكب من فواحش لاشباع رغباته وانغماسه في الترف وانشغاله عن أمور رعيته بمصالح ذاتية لاخير فيها[2]، إضافة إلى اغتصابه الحكم من الملك غيطشة[3]، وكانت محاولته الاعتداء على فلورندا[4] تجسيداً لفساده. كذلك ذكر طبقة الأشراف وظلمهم وتحكمهم في الفلاحين والأرض وغلاتها فالفلاحون لايملكون عقاراً أو بنياناً لأن الملك للأشراف[5]، كما ورد في الرواية ذكر لاستبداد حكام الأندلس من القوط وظلمهم وفتكهم بالرعية[6]، ووردت إشارة إلى فساد رجال الدين المحيطين بالملك لوذريق مثل مارتين. وإشارة أخرى إلى اضطهاد ملوك القوط لليهود وغيرهم من النصارى ممن لا يتبعون ملتهم فأضحى أهل البلاد أرقاء لا حرية لهم[8] ودُفع اليهود إلى النصرانية قسراً[9]، وقد نتج عن هذا كثرة الجواسيس وتعدد أسباب الوشاية ففسدت النيات وضاعت حقوق الناس[10]، وكان هذا كله إيذاناً بسقوط دولة لوذريق[11].

أما في الجانب الإسلامي فقد حرص زيدان على أن يؤكد حرصه على إظهار عدل الإسلام مقارنة مع الظلم الذي كان يعاني منه الناس في الأندلس قبل الفتح ، ويبدو للقارىء العادي أنه يدافع عن الإسلام في هذه الرواية كأنه واحد من المسلمين ، فقد وردت إشارات عدة تبين أن المسلمين لا يُكرهون أهل البلاد المفتوحة على اعتناق

---

(١) جورجي زيدان فتح الأندلس أو طارق بن زياد ص ١٩ و ١٢٠ و١٢٣ و ١٧٧ .
(٢) المرجع نفسه ص ١٠٩ و١٢٨ و ١٣٠ و ١٣٦ و ١٨٢ و ١٨٤ ـ ١٨٥ و ١٨٨ و ٢١٤ ـ ٢١٥ .
(٣) المرجع نفسه ص ٧ و ٩ و ١٩ و ٤٢ .
(٤) المرجع نفسه ص ٣٠ ـ ٣٤ و ٣٥ و ٦٦ ـ ٧١ .
(٥) المرجع نفسه ص ٤٩ و ١٠٧ و ١٤٠ .
(٦) المرجع نفسه ص ١٠٥ و ١٢٧ .
(٧) المرجع نفسه ص ١٨٠ و ٢٢٨ .
(٨) المرجع نفسه ص ١٠٦ و ١٢٤ .
(٩) المرجع نفسه ص ١٢٠ و ١٣٠ .
(١٠) المرجع نفسه ص ١٠٩ .
(١١) المرجع نفسه ص ٨٥ .

الإسلام[1]، وفيها ذكر ما اتسم به الخلفاء الأولون من العدل والرفق والمساواة[2].

وذكر للمسلين الذين قلبوا العالم بأسره ومدوا سلطانهم إلى العراق والشام وإفريقية وفارس وخراسان[3]، وعند الحديث عن المواجهة بين المسلمين والقوط يظهر استعداد المسلمين للمعركة الحاسمة[4] مع بيان بساطتهم مقارنة ببذخ القوط وغرورهم وقوتهم[5]. ويدرك الفاحص لهذا العمل أهداف زيدان فمنها التعرض للإسلام والمسلمين والطعن بهم في أغلب الحالات ومن ذلك ما ذكر في أول باب «الأندلس والقوط وطليطلة» من أن المسلمين قد حولوا كنيسة طليطلة إلى جامع[6] فكأنما هذا تلميح إلى أن الإسلام دين إكراه علماً بأنه لم يكن هناك أي مبرر فني أو تاريخي لعرض هذا الخبر، وترد مقارنة بين الروم والعرب من خلال ذكر أن اليهود قد هربوا من سلطان الروم وضريبتهم إلى سلطان العرب وضريبتهم وقد أحكم العرب فيهم سيوفهم ونفوذهم[7] ومقارنة أخرى بين القوط والعرب فقد سطا القوط على مملكة الرومان الغربية وسطا العرب على المملكة الشرقية بعد قرون[8]، ويشار إلى أن العرب فتحوا البلاد بالسيف أو الصلح دون ذكر أمر الجهاد وهدفه كما يرد ذكر حرص المسلمين على المغانم أثناء الفتوحات[9] وتأكيد على ظلم بعض عمال بني أمية ومنهم الحجاج بن يوسف الذي كان شديد الوطأة على أهل البلاد يطالبهم بالخراج لحاجته إليه في الحرب[10]

ومن أهداف زيدان في عمله هذا أن يفصل بين الإسلام والمسلمين من جهة وبين العرب والبربر من جهة أخرى فيكثر من ذكر كلمتي العرب والبربر ويقلل من ذكر

(١) المرجع نفسه ص ١٢٥ و ١٣٠ و ٢٣٢ .
(٢) المرجع نفسه ص ١٢٥ ـ ١٢٦ .
(٣) المرجع نفسه ص ١٢٤ .
(٤) المرجع نفسه ص ٢١٢ ـ ٢١٤ .
(٥) المرجع نفسه ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨ .
(٦) المرجع نفسه ص ٨ .
(٧) المرجع نفسه ص ١٢٥ .
(٨) المرجع نفسه ص ٧ .
(٩) المرجع نفسه ص ١٢٥ و ١٣٥ و ١٤٦ و ١٨٠ و ٢٠٧ و ٢٣٢ .
(١٠) المرجع نفسه ص ١٢٥ و ١٣٢ .

كلمة المسلمين، فقد ذكر العرب في ٤٩ موضعاً[1]، والبربر في ١١ موضعاً[2]، في حين ذكر المسلمين في ١٠ مواضع فقط[3]، كما يشير إلى محاولة البربر التخلص من حكم المسلمين بالتحرر وشق عصا الطاعة[4] وهذا تلميح آخر إلى أن الإسلام قد فرض عليهم دون أن يكونوا قد آمنوا به إيماناً حقيقياً، كذلك يعمد إلى ذكر أن موسى وقد استأذن الخليفة في فتح الأندلس قد رأى أن «يجرب ذلك برجال من الموالي المسلمين غير العرب يرسلهم لفتحها»[5]، ولأنه لم يتناول شخصية موسى ودوره الحقيقي في الفتح ولم يبين اجتهاده في اختيار طارق والبربر لهذا العمل الكبير يستنتج القارىء أنه قد ضحى بهم ليضمن سلامة العرب المسلمين.

وقد حرص زيدان أيضاً على إثبات أن اليهود هم أبناء عم العرب إلى جانب تأكيده على نبلهم وشهامتهم وحرصهم على إقامة شعائر دينهم واخلاصهم لنصرة المسلمين[6] فنسمع سليمان اليهودي يقول: «فإن العرب هم أبناء اسماعيل بن إبراهيم، واليهود أبناء أخيه اسحاق. فهم بهذا الاعتبار ابناء عمنا»[7]. كما أكد الكاتب على الربط بين اليهود وبني إسرائيل عندما تحدث عن جمعية إسرائيلية أسسها اليهود هدفها الخلاص من حكم القوط[8].

ثانيا: الرواية المعدة:

نظراً لأن الدراسة تتناول رواية «فتح الأندلس» المبسّطة وجب بيان أمر الإعداد ـ ماله وما عليه ـ من باب الالتزام بالحق. لقد كان أمام الإعداد عمل يطرح جوانب

---

(١) المرجع نفسه انظر على سبيل المثال ص ٧ و١٢٣ و١٢٥ و١٢٧ و١٣٠ و١٣٣ و١٣٩ و١٧٥ و١٧٧ و١٨٠ و١٨٩ و٢٠٦ و٢٠٩ و٢١١.

(٢) المرجع نفسه انظر على سبيل المثال ص ١٣٠ و١٣٣ و١٣٥ و١٤٧ و٢١٣ و٢٣٨.

(٣) المرجع نفسه انظر على سبيل المثال ص ٨ و١٣٠ و١٣٥ و١٣٦ و٢٢٧ و٢٢٩ و٢٣٢.

(٤) المرجع نفسه ص ١٣٢.

(٥) المرجع نفسه ص ١٣٥.

(٦) المرجع نفسه ص ١٢٧ و٢٠٧ و٢٢١ و٢٤٢.

(٧) المرجع نفسه ص ١٢٤.

(٨) المرجع نفسه ص ١٢٠.

من تاريخ فتح الأندلس من وجهة نظر كاتب لا يلتزم بالموضوعية وهو يكتب عن الإسلام والمسلمين، وهو عمل أدبي متعدد الشخصيات متشابك الحوادث يتطلب قدراً كبيراً من الوعي والإحساس الفني وقدرة على البناء الروائي تراعي تطور الشخصيات وانسجام سلوكها مع ما تعتقد به وتؤمن، ولابد من العودة إلى الرواية الأصلية نقف عندها وقفة قصيرة تساعد على إلقاء الضوء على الفرع.

أما على صعيد الشكل فقد حاول زيدان أن يتقيد بالقالب الفني الذي اختاره وهو الرواية، وقد بذل جهداً لا بأس به في صياغته للحوادث التاريخية وغير التاريخية ضمن قالب روائي بصورة مقنعة إلى حد ما، والحديث هنا عن نوع من الروايات التاريخية التي ترتكز بصورة أساسية على قصة حب تكون الإطار العام للعمل ويغلب عليها حوادث مفتعلة وإشارة قوية للعواطف، ففي الرواية حوادث مفتعلة لعبت الصدفة فيها دوراً مهماً مؤثراً على الحوادث، ومن ذلك وصول الراهب (أو باس) في اللحظة الحاسمة التي همّ فيها الملك لوذريق أن يعتدي على فلورندا[1] ووصول اليهودي سليمان إلى الاجتماع الذي ضم نخبة من يهود الأندلس مع ألفونس ليحدثهم عن أمر المسلمين ونيتهم فتح الأندلس[2] ووصول فلورندا وخالتها إلى دير الجبل حيث تقابل الراهب الذي كان يعرفها فتجد عنده المساعدة[3]. أما أمر العواطف الجياشة وإثارتها بصورة مبالغة فمنها حب الفونس لفلورندا الذي طغى على حوادث الرواية وشخصياتها وكان المحرك الحقيقي وراء حركاته وردود فعله[4] ورغبة لوذريق في فلورندا وكانت رغبة جامحة أسهمت في زوال ملكه[5] وغضب كوميس قائد جيش القوط[6].

لقد واجهت زيدان أمور منها الوقائع التاريخية خاصة تلك التي سبقت الفتح في الجانبين الإسلامي والأسباني، فلم يقدر أن يعالج تلك الوقائع في إطار فني يُشعر

---

(١) المرجع نفسه ص ٧١ ـ ٧٢ .
(٢) المرجع نفسه ص ١٢١ ـ ١٢٣ .
(٣) المرجع نفسه ص ١٦١ ـ ١٦٣ .
(٤) المرجع نفسه انظر على سبيل المثال ص ١٦ و ١٩ و ٣٨ و ٥١ و ١٢٧ و ١٣٠ .
(٥) المرجع نفسه ص ٣٠ ـ ٣٥ و ٦٦ ـ ٧١ و ٧٤ .
(٦) المرجع نفسه ص ١٨٠ ـ ١٨١ .

القارىء أن الحوادث التاريخية جزء لا تتجزأ من الرواية ، لذا كان مضطراً إلى اللجوء إلى استطرادات عديدة بدت أنها ملفقة مقحمة رغم قيمتها التاريخية في أحيان كثيرة. ومن تلك الاستطرادات العديدة ما ورد في الباب الأول بعنوان «الأندلس والقوط وطليطلة» عن أصل الأندلس وتاريخها وملكها المغتصب لوذريق وتقسيم الأندلس السياسي[1]، ورغم أن هذا الباب يمهد لحوادث الرواية إلا أنه لم يرتبط بها فنياً فقد جاء على شكل استطراد تاريخي. وفي الباب السابع «الروم والقوط» استطراد أوقف فيه المؤلف حوادث الرواية ليتحدث عن التباغض بين الروم والقوط عبر قرون ضمن إطار معلومات تاريخية لاتتصل فنياً بالرواية[2]. والأمر ذاته ينطبق على باب «بعد فتوح الإسلام» وباب «طارق بن زياد» وفيهما يتناول جوانب من تاريخ المسلمين قبل فتح الأندلس[3] ويتحدث عن طارق بن زياد وأصل قومه وعن بدر[4] وعن الإعداد للفتح[5]، ويستطرد في الحديث عن مدينة شريش[6] حيث التقى طارق بملك القوط[7]، والاستطرادان الأخيران يؤثران على عنصر التشويق فكان ينبغي إيرادهما في مكانهما الطبيعي قبل المعركة، وهناك استطرادات أخرى وردت في سياق الحوادث ولم تفرد لها أبواب مستقلة مثل سابقتها مثل الحديث عن الفراسة ونساء طليطلة[9] والقوط[10] وأثر الحب على العشاق[11] والعساكر الأسبانية وتقسيماتهم في عهد القوط[12] وبساطة الفلاحين في أسبانية[13]، وهذه كلها قد قللت من قيمة العمل فنياً باعتبار أنها مقحمة وغير متلاحمة معه.

---

(١) المرجع نفسه ص ٧ ـ ٨ .

(٢) المرجع نفسه ص ٢٢ ـ ٢٣ .

(٣) المرجع نفسه ص ١٣٢ ـ ١٣٣ .

(٤) بدر شخصية خيالية في الرواية ادعى الكاتب أنه رفيق طارق منذ البداية .

(٥) زيدان فتح الأندلس ص ١٣٤ ـ ١٣٦ .

(٦) شريش : مدينة كبيرة من كورة شذونة بالأندلس (معجم البلدان جـ٣ ص ٣٤٠ والروض المعطار ص ٣٤٠ .

(٧) زيدان فتح الأندلس ص ١٣٨ ـ ١٣٩ .

(٨) المرجع نفسه ص ٣٩ ـ ٤٠ .

(٩) المرجع نفسه ص ٨٢ ـ ٨٣ .

(١٠) المرجع نفسه ص ٤٣ ـ ٤٧ .

(١١) المرجع نفسه ص ٢٢٠ .

(١٢) المرجع نفسه ص ٩٩ ـ ١٠٠ .

(١٣) المرجع نفسه ص ١٤١ .

ومما قلل من قيمة الرواية الفنية أيضاً اضطرار زيدان إلى أن يلخّص حوادث سبقت، كأنما يحس بأن القارىء قد نسي أموراً في الرواية فأراد أن يذكّره بها ومن ذلك ما ذكره: «كان المسلمون على ما ذكرنا من تيقظهم ونهوضهم للفتح . . . و(لوذريق) في بلاطه على نحو ما تقدم من انصرافه إلى الترف والرخاء، وقد تركناه وهو يكاد يتمزق غيظاً من أوباس»[1]، وما رواه مرة أخرى عن أوباس الذي ذهب إلى سجنه مسروراً لاعتقاده ببراءة ساحته[2]، وما جرى لفلورندا: «تركنا فلورندا وخالتها والرجلين . . هائمين على وجوههم في ضواحي طليطلة»[3].

وتسجل الرواية عدم قدرة زيدان على التعامل مع حوادث تاريخية كانت تحتمل ترجيح رأي على آخر مثل أمر يوليان حاكم سبتة، فقد عرض لآراء مؤرخين مسلمين من أن يوليان ظل ثابتاً على ولائه للوذريق حتى أساء لوذريق إلى ابنته فلورندا فنقم عليه، ثم ذكر إنكار مؤرخي الفرنج لذلك فإن يوليان قد أعان المسلمين على فتح الأندلس لأنه من أقارب غيطشة وقد فعل يوليان ذلك انتقاماً من لوذريق لأنه سلب الملك منه[4] . وفي مقام آخر يشير إلى تفضيل لوذريق الموت غرقاً على أن يقتله أحد من أعدائه[5] ثم يذكر في الهامش : «لم يتحقق المؤرخون كيف قتل (لوذريق) ومن آرائهم أنه غرق في ذلك الماء»[6]، وفي المقامين يتخذ موقف المؤرخ لا الروائي ويشتت أفكار القارىء عندما لا يقدر أن يرجّح رأياً على آخر وهذا لا يصح في عمل روائي. تلك أمور فنية لم تكن في صالح العمل.

لقد استطاع الإعداد أن يتجاوز الاستطرادات التاريخية ولم يرجّح رواية على أخرى فجاء الفرع أقرب إلى الشكل الروائي المقبول فنياً من العمل الأصلي.

أما على مستوى المضمون فقد حذف الإعداد تفاصيل عديدة مثل وصف الكنيسة

(١) المرجع نفسه ص ١٣٦ .
(٢) المرجع نفسه ص ١٣٧ .
(٣) المرجع نفسه ص ١٤٧ .
(٤) المرجع نفسه ص ١٣٣ .
(٥) المرجع نفسه ص ٢٢٩ .
(٦) المرجع نفسه ص ٢٢٩ .

وما عليها من نقوش تمثل ملائكة وقديسين وأنبياء[1] وذكر الخمر وشربها[2] ولجوء فلورندا إلى مخزن للخمر حيث اختبأت[3] ومحاولتها الانتحار عندما هجم عليها لوذريق للنيل منها[4] وتمنيها الموت حتى لاتراه[5] وحالها وقد كشفت عن صدرها وحلت شعرها وجعلت تلطم وجهها وتقرع صدرها تناجي المسيح الذي قالت إنه صلب وأهدر دمه على الصليب[6]. ولم تذكر الرواية المبسطة صلة اليهود بالعرب من أنهم أبناء عم لانحدارهم من نسل إبراهيم عليه السلام على حد زعم الكاتب[7]، كما لم تورد مصطلح «الجمعية الإسرائيلية» الذي أطلق على جماعة اليهود السرية في أسبانية[8] أو أن اليهود شعب الله المختار[9]، ولم يشر الإعداد إلى ما قاله الحاخام اليهودي الكبير يعقوب من أنه يشكر الله لأنه يهودي جنساً وديناً وأن هذا من نِعم الله عليه[10]، كما تجنب واقعة خيالية تتصل باختطاف المجاهد المسلم بدر لفتاة أسبانية تُدعى مارية[11] وهي واقعة أرادها الكاتب تمهيداً لسبي بدر لفلورندا[12].

مصادر ومراجع رواية فتح الاندلس :

وردت في هوامش بعض صفحات الرواية عناوين عدة مصادر تاريخية هي «الكامل في التاريخ» لابن الأثير «ووفيات الأعيان» لابن خلكان و«نفح الطيب» للمقري[13]، كما ذكرت مراجع منها كتاب روجي كولينز.

(١) المرجع نفسه ص ٢١ .
(٢) المرجع نفسه ص ١٠٥ و١٣٨ و ١٣٩ و ١٧٤ .
(٣) المرجع نفسه ص ٢٢٥ .
(٤) المرجع نفسه ص ٦٨ - ٦٩ .
(٥) المرجع نفسه ص ٢٢٧ .
(٦) المرجع نفسه ص ٢٢٦ .
(٧) المرجع نفسه ص ١٢٤ .
(٨) المرجع نفسه ص ١٢٠ .
(٩) المرجع نفسه ص ٢٠٧ .
(١٠) المرجع نفسه ص ٢٤٢ .
(١١) المرجع نفسه ص ١٤٠ - ١٤٧ .
(١٢) المرجع نفسه ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .
(١٤) المرجع نفسه ص ٩ و ١٢٤ و ١٢٥ و ١٢٦ و ٢٠١ و ٢١٤ و ٢١٥ و ٢٤٣ .

«أسبانية العصر الوسيط المبكر» ـ وقد ورد خطأ بعنوان «تاريخ رومي» في عدة مواقف[1] ـ وكتاب «تمدن أوروبة» و«تاريخ المملكة الرومانية» و«تاريخ التمدن الإسلامي» و«دائرة المعارف البريطانية» وكتاب دوزي «تاريخ مسلمي أسبانيا»[2]. وقد دون زيدان هوامش روايته[3] بالمصادر والمراجع المذكورة حتى يقنع القارىء بأمانته وأن روايته تعتمد بصورة أساسية على الموضوعية. وأشير في هذا المقام إلى طبعة ثانية للرواية[4] إلا أن الطبعة المعتمدة في هذا الفصل التي نُشرت على شكل كتاب مستقل أكثر دقة في ذكر المصادر والمراجع فقد ارتكزت على الطبعة الأولى.

ومن المهم ذكر مرجع من مراجع الرواية هو كتاب دوزي «تاريخ مسلمي أسبانيا» الذي ورد في هوامشها تحت عنوان «دوزي الجزء الأول»، وهذا المرجع ألفه مستشرق هولندي يُدعى(رينهرت دوزي)عن تاريخ الأندلس، وقد أشار زيدان إليه في أربعة مواضع[5]، والأمر المثير للاهتمام في المواضع الأربعة أن ثلاثة منها لا تمت بصلة إلى الجانب الإسلامي فهي تتناول أحوال القوط تحت حكم الرومان[6] واضطهاد اليهود في أسبانية[7] ومعاناتهم قبل الفتح الإسلامي[8]. والإشارة إلى المرجع في المواضع المذكورة تُضَللُ القارىء لكونها لم ترد في أماكنها الصحيحة، ولعل المؤلف رأى أن يخفي حقيقة اعتماده عليه عند حديثه عن الإسلام وإن كان يهمه أن يشير إلى المرجع ذاته.

ومما ورد في المرجع أن العرب قد فتحوا البلاد بالسيف[9] وأن الحَجَّاج لم يهتم كثيراً

---

(١) المرجع نفسه انظر على سبيل المثال ص ٢٢ و٢٣ و ٤٤ و٤٧ .

(٢) المرجع نفسه ص ١٩ و٢٢ و ٤٤ و٤٥ و٤٦ و٤٧ و ٥٠ و ٥٥ و٨٨ و٨٩ و١٠١ و١٠٥ و١٠٧ و١١٩ و ١٢٤ و١٢٥ و ١٢٦ و ١٣٩ و١٥٣ و ١٥٥ و ١٧٩ و ١٩٢ و١٩٣ و ٢١٥ و ٢٣٧ .

(٣) انظر الطبعة الأولى التي نشرت في مجلة الهلال (السنة الحادية عشرة ـ اكتوبر ١٩٠٢ ـ ١٩٠٣ م / ١٣٢٠ ـ ١٣٢١هـ).

(٤) ضمت الطبعة الثانية روايات فتح الأندلس وعبدالرحمن الناصر وأبو مسلم الخراساني وصلاح الدين الأيوبي .

(٥) زيدان فتح الأندلس ص ١٠٥ و ١١٩ و ١٣٩ و ٢٣٧ .

(٦) المرجع نفسه ص ١٠٥ .

(٧) المرجع نفسه ص ١١٩ .

(٨) المرجع نفسه ص ٢٣٧ .

(٩) دوزي تاريخ مسلمي إسبانيا جـ ١ ص ١٩ .

بنشر الإسلام بل كان مضطراً إلى زيادة دخل بيت المال لاستدرار عطف الخليفة عليه إذ أنه لم يرفع الجزية عمن أسلم[1]، وقد ردد زيدان هذا عندما كتب عن الخليفة عبد الملك بن مروان الذي تولى الخلافة عشرين عاماً قضى معظمها يحارب منافسيه وكثيراً ما خشي من خروج الخلافة من بين يديه وقد نصره الحجاج أدهى عمال المسلمين وأشدهم وطأة[2]، وذكر في المرجع صراحة أن إسقاط المسلمين الجزية عمن أسلم هو طعم يزكيه الطمع فآثر كثيرون الاحتفاظ بالمال والمتاع الدنيوي ولم يعتنقوا الإسلام عن إيمان[3]، كما ذكر أن موسى قد أخضع البربر[4] وهذا ما ورد في الرواية[5] .

ولابد من القول إن الجزء الأول من الكتاب يحمل عنواناً فرعياً هو «الحروب الأهلية» والمقصود بذلك الحروب التي جرت بين المسلمين مثل حروب الردة[6] ومعركة الجمل[7] ومعركة صفين[8] ومعركة مرج راهط[9]، كذلك اختار دوزي لعنوان كتابه الرئيس كلمة أسبانيا بدل الأندلس. وهكذا نرى أهمية اعتماد زيدان عليه وهو يتعرض للإسلام والمسلمين.

من شخصيات الرواية :

تقدم شخصيات الرواية موضوع الدراسة مفهومات وأفكاراً تنبع من خلفيات غير إسلامية، والملاحظ أن أهم شخصيات الرواية نصرانية ويهودية[10]. وقد حافظ الإعداد

---

(١) المرجع نفسه جـ ١ ص ١٣٨ - ١٣٩ .
(٢) زيدان فتح الأندلس ص ١٣٢ .
(٣) تاريخ مسلمي إسبانيا جـ ١ ص ١٣٨ .
(٤) المرجع نفسه جـ ١ ص ١٤٠ .
(٥) زيدان فتح الأندلس ص ١٣٢ .
(٦) تاريخ مسلمي إسبانيا جـ ١ ص ٣١ - ٣٢ .
(٧) المرجع نفسه جـ ١ ص ٤٤ - ٤٦ .
(٨) المرجع نفسه جـ ١ ص ٢٧ و ١٧٦ .
(٩) المرجع نفسه جـ ١ ص ٨٧ - ٩١ .
(١٠) وردت في بداية الرواية الأصلية قائمة تضم سبع شخصيات نصرانية وشخصيتين يهوديتين وشخصية إسلامية واحدة هي طارق بن زياد وذلك لتعريف القارىء بشخصياتها كما هو متبع في العمل المسرحي (زيدان فتح الأندلس ص ٥) .

على إطار الشخصيات الأصلية بصورة عامة دون انتباه إلى ما تعرضه من قيم ضارة، وأكتفي في هذا الباب بالحديث عن أربع من شخصيات الرواية.

١ ـ فلورندا :

شابة نصرانية خطيبة الفونس ابن ملك غيطشة السابق ووريث عرشه الشرعي تنتمي إلى طبقة النبلاء فأبوها يوليان حاكم سبتة، وهي الشخصية النسائية الرئيسة في الرواية جعلها الكاتب بطلة الرواية ومحور معظم حوادثها، حتى تلك الحوادث المتصلة بالجانب الإسلامي. وقد طغت قصة حبها مع الفونس على كثير من الحوادث التاريخية، وإن كانت هذه القصة لا تنتمي إلى التاريخ بأية صلة فهي من نسج خيال الكاتب.

أول أمر تذكره الرواية عن فلورندا جمالها: فهي فتاة جميلة ربما كانت أجمل فتاة في طليطلة[١]، وقد اهتمت الرواية بإبراز محاسن وجهها وقامتها ورشاقتها بصورة مثيرة[٢] فهي «الأميرة ... الجميلة الناعمة الرقيقة ربيبة القصور»[٣]، ونسمع الراهب (سرجيوس) رئيس دير الجبل حيث التجأت يمدح جمالها فهي الزهرة النضرة[٤]. وكأن جمالها فتنة جعلت الملك لوذريق يقع في غرامها ويحاول الاعتداء عليها في مشهد يثير اشمئزاز النفوس التي فُطرت على التقوى، ففي موقف من المشهد يسكب الملك في أذنيها كلمات الحب والغرام[٥]، وفي موقف آخر يلجأ إلى العنف فيحاول أن يهجم عليها معتديا ويخرج خنجراً مهدداً إياها وقد أفقدته الخمرة صوابه[٦]. كذلك أثار جمالها الحسي بدراً المجاهد المسلم مولى طارق بن زياد، فعندما وقعت عيناه عليها قال لها: «ما أجملك»! فقد أعجبته ووقعت من نفسه موقعاً حسناً فأمر رجاله بأخذها إلى

(١) جورجي زيدان فتح الأندلس جـ ١ ص ١٠ .
(٢) المرجع نفسه جـ ١ ص ١١ ـ ١٢ .
(٣) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٧٩ .
(٤) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٢٦ .
(٥) المرجع نفسه جـ ١ ص ٤٥ .
(٦) المرجع نفسه جـ ١ ص ٤٥ ـ ٤٦ .

خيمته»[1] وعندما طلب بذر من طارق أن يتزوجها تفاجىء الرواية القارىء بأنها أخته حيث كشف هذا السر سليمان اليهودي[2]، وتفسر على لسان ذلك اليهودي العاطفة التي شعر بها نحو فلورندا بأنها عاطفة الأخ لأخته[3]! وإضافة إلى التركيز على جمالها وأثره على الملك لوذريق والمجاهد بدر يعمد الإعداد إلى وصف لقاء عاطفي بينها وبين خطيبها ألفونس بالعرف النصراني[4]. وإن في وصف جمال فلورندا الحسي وإظهار أثره على من حولها مما لا يتفق مع مبادىء الإسلام فقد قال رسول الهدى محمد صلى الله عليه وسلم: إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم»[5].

بعد أن مهدت الرواية لشخصية فلورندا ودورها على الصعيدين الجمالي الحسي والاجتماعي ألقت ضوءاً على نظرتها للحياة وموقفها من الصراع بين الحق والباطل، فتقول لألفونس أثناء اللقاء الأول بينهما إن الملك مجد زائل وإنها تتمنى أن تبتعد عن القصر المنيف الذي تعيش فيه في طليطلة لتقيم في كوخ معه فالحب في نظرها لا يعرف العروش[6]. ومن جهة فإن هذا القول لا يتفق مع نشأتها ومجرى حياتها، فقد كانت مدللة في قصر أبيها في سبتة تنعم بحياة مرفهة ترتدي من الثياب أفخرها وأغلاها وتتزين بأجمل الحلي[7]، وعندما أرسلها أبوها يوليان إلى الملك لوذريق لتتأدب بأدب البلاط وتشب على الولاء للملك أفرد لها الملك قصراً خاصاً بها من دون أبناء وبنات حكام الولايات[8]. ومن جهة أخرى فإن تصورها للأمور كما ورد في جوابها لألفونس غير مبني على أساس إدراكها لأهمية انتصار الحق والعمل لتحقيقه، ويتضح هذا الموقف بجلاء عندما عبّرت عن رأيها في الحرب الدائرة بين المسلمين والقوط. وحيث أنها كانت على درجة من الوعي تمكنها من تمييز الحق ومعرفة الخير

(١) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٨١ .
(٢) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٩٦ - ٩٧ .
(٣) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٩٧ .
(٤) المرجع نفسه جـ ١ ص ١٥ - ١٦ .
(٥) مسلم صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره جـ ١٦ ص ١٢١ .
(٦) فتح الأندلس جـ ١ ص ١٩ .
(٧) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٥٨ .
(٨) المرجع نفسه جـ ١ ص ١٠ - ١١ و١٣ .

كما صورتها الرواية فكان من المتوقع والحال هذه أن تقف إلى جانب المسلمين إلا أنها آثرت ألا تهتم بأمر الحرب ومعركة الخير والشر فيما يتعلق بأبيها وخطيبها، فعندما بلغتها الأخبار الأولى عن إعداد لوذريق للحرب «تصدّعت كل آمالها في سقوط هذه المملكة ونهاية هذا الملك على يد والدها والعرب. . فلو لم يكتب لهم النصر فهي هالكة ووالدها لا محالة»[1] وتذهب إلى أبعد من هذا عندما تصف معركة الحق مع الباطل بأنها مشؤومة لعينة، فهي لا تكترث بانتصار الحق إذ أن همها الوحيد أن يخرج والدها وخطيبها سالمين، فقد أحست «أنها الوحيدة الخاسرة في هذه المعركة المشؤومة. . فلو انتصر الأسبان خسرت والدها. . ولو انتصر العرب خسرت خطيبها. . فأي موقف عصيب وضعتها فيه هذه الحرب اللعينة. . ألا سحقا للجميع إنها تريد والدها وخطيبها سالمين»[2]. وحتى عندما يصرح الإعداد بأنها سعيدة لأخبار انتصار المسلمين[3] فإن سعادتها لم تكن لانتصارهم حقيقة بل لانتصار والدها وسلامته، وينبغي الإشارة في هذا الموضع إلى أجواء سبتة حيث كانت نشأتها الأولى ثم أجواء طليطلة عند لوذريق حيث زخارف الدنيا وزينتها وترف الملك والدسائس، فلابد أن تترك هذه في نفسها أثراً وإن حاولت الرواية أن تظهر غير هذا.

وتكاد شخصيتها أن تستأثر بمعظم حوادث الرواية التاريخية والخيالية عند القوط والمسلمين على حد سواء، فالملك يجنّد جنوداً كثيرين للبحث عنها إثر فرارها من القصر[4] رغم أن عليه أن يواجه جند المسلمين[5]، ويتحرك الفونس وعمه أو باس ويوليان وسرجيوس ويعقوب وسليمان اليهوديان في محاولات مستمرة لا تكلّ لانقاذها خلال وجودها في طليطلة وبعد هروبها من القصر. أما في الجانب الإسلامي فإن بدراً يقع في غرامها دون أن يدري أنها أخته وقد ناضل في سبيلها نضالاً شديداً وقتل من أجلها ستة فرسان من القوط[6]، وزعمت الرواية أن انتصار المسلمين كان بفضل

(١) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٥٦ - ٥٧ .
(٢) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٥٧ .
(٣) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٥٦ .
(٤) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٢٨ .
(٥) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٧٨ - ٨٠ .
(٦) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٩٥ .

يوليان الـذي قرر أن يتعـاون معهم ويسهّل لهم الطريق إلى الأندلس ويدلهم على عورات القوط انتقاماً من لوذريق وقد حاول الاعتداء على ابنته[1].

ومن الجوانب الخطيرة في شخصيتها جانب الشرك الصريح فالإعداد قد تركها أمام تمثـال للمسيح تتضرع إليه بأن يرعـاها[2]، وتجثو أمام صورة لمريم تصلي لها حتى تحميها وتحرسها في مصيبتها[3] عندما أرسل لوذريق رجاله بحثاً عنها، كأنما أمر الشرك طبيعي يعتـبره الإعـداد جزءاً من الـدين النصراني دون أن يدرك خطره في جانب العقيدة، وكأنه لم يقرأ قول الحق وهو يخاطب عيسى عليه السلام:

﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [4]

ويُبقي الإعداد فلورندا على نصرانيتها بعد الفتح فيقف بدر المجاهد المسلم يبارك زواج أخته النصرانية ويقول لخطيبها ألفونس الذي بقي على نصرانيته: «أرجو أن يكـون زواجكـما أول زواج في الأندلس بعد فتح المسلمين لها»[5]، وهذا تأكيد من الرواية على انتصار ما تمثله هذه الشخصية من مفهومات أخطرها جانب الضلال والشرك.

وعلى المستوى الفني لم يتنبه الإعداد إلى تناقض واضح في موقفها من لوذريق فعند أول لقاء بينهما تبدو ذليلة إذ تقول له: «لا يجوز لمثلي يا مولاي أن تكون غير خادمة حقيرة بين يدي ملك الأسبان. . الذي يتمثل الناس بشدة بطشه»[6]. وهذا لا يندرج تحت باب التـواضـع ولا يتفق مع شخصية أمـيرة وخـطيبة وريث عرش الأندلس

(١) المرجع نفسه جـ١ ص ٦١ و٦٣ وجـ٢ ص ٨ و١١ و٣٦ ـ ٣٧ و٧٢ ـ ٧٣.
(٢) المرجع نفسه جـ١ ص ٣٣.
(٣) المرجع نفسه جـ٢ ص ٧٩.
(٤) سورة المائدة آية ١١٦.
(٥) فتح الأندلس جـ٢ ص ٩٨.
(٦) المرجع نفسه جـ١ ص ٢٩.

الشرعي، ثم نرى تبدل موقفها في لقاء آخر بينهما فقد راحت تقاومه بجرأة وتوجه إليه كلمات تحدٍ[1]، والتناقض بيّن في الموقفين.

٢ ـ ألفونس :

هو ابن الملك غيطشة الذي اغتصب عرشه لوذريق بعد أن قتله[2]، وهو يحتل مساحة واسعة في الرواية باعتبار أنه بطلها وتمثل قصة الحب الخيالية بينه وبين فلورندا المحور الرئيس لها، وهو موضع تقدير واحترام الناس في الأندلس فعامة الناس يحبونه مثلما كانوا يحبون والده[3] والجند يطيعونه وقواد العسكر يحترمونه[4] فهو مثل أبيه يتصف بالعدل والرأفة فنراه يوصي جنده بألا يعتدي أي منهم على أملاك الفلاحين[5] وهم في حملة عسكرية كما يبدي حرصه على راحة جنده[6]، وما اهتمام لوذريق بإرساله في حملة إلى الشمال قوامها ألفا جندي لإخماد القلاقل والفتن التي تهدد حكمه إلا دليلاً على حكمته في القيادة وكفاءته العسكرية، كما يطلب منه عمه الراهب أو باس أن ينفذ أمر الملك لقيادة الحملة[7]، ولو لم تكن له هذه المكانة ما عهد إليه الملك فيما بعد أن يتولى حملة عسكرية[8] أخطر من هذه وأعظم شأناً عندما يأمره بأن يقود ميسرة جند القوط في المعركة الفاصلة أمام المسلمين[9]. ويشهد يوليان له بأنه متفانٍ في الخدمة مخلص وهو وريث كرسي الملك[10]. وله عند يهود الأندلس تقدير خاص مميز، فهم يعتبرونه المخلّص مما يعانون من بطش لو ذريق واضطهاده وظلمه لهم[11]وقد بلغ من تقديرهم

(١) المرجع نفسه جـ١ ص ٤٦ .
(٢) المرجع نفسه جـ٢ ص ٦ .
(٣) المرجع نفسه جـ١ ص ١٥ وجـ٢ ص ٨٦ ـ ٨٧ .
(٤) المرجع نفسه جـ١ ص ٤٤ و ٥٠ ـ ٥١ .
(٥) المرجع نفسه جـ١ ص ٥١ .
(٦) المرجع نفسه جـ١ ص ٥٣ .
(٧) المرجع نفسه جـ٢ ص ٦ .
(٨) المرجع نفسه جـ٢ ص ٧ .
(٩) المرجع نفسه جـ٢ ص ٩٦ .
(١٠) المرجع نفسه جـ٢ ص ٧٣ .
(١١) المرجع نفسه جـ١ ص ٥٨ ـ ٥٩ .

له أن كبير حاخاماتهم يعقوب يدعوه ملك الأندلس لأنهم لا يعرفون ملكاً سواه[1] ويعلن يعقوب أنهم سوف يخدمونه حتى الموت ليتمكن من استعادة عرشه المسلوب فيساعدهم على إقامة شعائر دينهم[2] فمساعدتهم له وخدمتهم له حتى الموت[3] وإمداده بأموال لا حصر لها[4] ليخلصهم من لوذريق تأكيد على المكانة الكبيرة التي يحظى بها عندهم.

تلك الصورة المتألقة لألفونس بدد بريقها حبه لفلورندا الذي استولى على كيانه، فقد تسلط ذلك الحب عليه وكاد أن يمحو ما بقي فيه من قوة. ومع متابعة حركاته في الرواية يشعر القارىء أن ذلك الحب كان الدافع المباشر في أغلب ما يبديه من أفعال وردود أفعال. ومن هذا المنطلق فَقَدَ قوّتَه كابن ملك ووريث شرعي له مكانته بين القواد والجند والناس عامة واليهود خاصة، وهو موضع أمل كل أولئك في أن يخلصهم من الظلم والقهر.

ويبدو أن الرواية قد انجرفت مع قصة الحب الخيالية هذه وبالغت في إظهار عاطفة ألفونس مما أثّر تأثيراً سيئاً على شخصيته، ففي أول لقاء له مع فلورندا يبدي قلقاً واضطراباً خشية أن تكون خطيبته قد نسيت حبها له بسبب تغير حاله، إذ أنه ما عاد أميراً يحيط به الأعوان وينحني له الجنود والأتباع فهو مجرد رجل من الرعية[5]. وبدل أن يكون أول ظهور له قوياً يؤكد حرصه على تخليص البلاد من بطش لوذريق وظلمه، يبدو أسير هوى فلورندا[6]، فهو يخشى أن يكون حبها له قد تغير، ويصرح لها والهوى يسيّره: «إنني تصورت أن خسارةَ الملك قد جرتني إلى خسارة ما هو أثمن من المُلك ومن كل شيء آخر. هو حبك»[7]. وهذا إسراف في إظهار العواطف ومغالاة تتجاوز الحدود. وبالمقابل لا تقف فلورندا موقفاً إيجابياً مما ينبغي أن يَقُومَ به ألفونس لإعادة

---

(١) المرجع نفسه جـ ١ ص ٥٨ و ٦٣ .
(٢) المرجع نفسه جـ ١ ص ٥٩ .
(٣) المرجع نفسه جـ ١ ص ٥٩ .
(٤) المرجع نفسه جـ ١ ص ٥٧ .
(٥) المرجع نفسه جـ ١ ص ١٤ .
(٦) المرجع نفسه جـ ١ ص ١٧ .
(٧) المرجع نفسه جـ ١ ص ١٦ .

الحقوق إلى أصحابها وكف شرور لوذريق، ولا تأخذ بيده ليحقق العدل وهو قادر على هذا من خلال مكانته بين القواد والجند والناس بل تسعى إلى أن يترك هذا كله جانباً ليعيش معها في كوخ من أكواخ العبيد[1]. ويصرّح قائلاً لها: «وقد توقفت عن زيارتك لأنني كنت قد نويت ألا أزورك إلا بعد أن أصل إلى عرشي وملكي.. ولكن طال سعيي ولم أصل إلى شيء.. ويئست من عرشي.. ومن حبي معاً.. ولكن بعد أن قابلتك الآن وسمعت حديثك عاودني الحماس»[2].

وفي الرواية مواقف عدة تظهر عدم نجاح الرواية في التوفيق بين الجانب التاريخي المتصل بمطالبة ألفونس بعرش أبيه المغتصب وبين الجانب الخيالي المرتبط بحبه لفلورندا، كما أن تلك المواقف تبرز ضعفه وعجزه. ففي أول لقاء مع الملك لوذريق يقف وقفة خادم ذليل يستمع إلى تقريعه دون أن يجيب[3] وقد تصلبت أطرافه[4] رغم أنه على علم بما يفعل وبنواياه الخبيثة تجاه فلورندا[5]، وفي موقف ثانٍ يتضح تردده وضعفه وقد استصغر نفسه وهان عليه القيام بأي شيء في سبيل تحقيق أهدافه[6]، وفي موضع ثالث يبكي وهو يحدّث عمه أو بأس بما جرى له مع فلورندا والملك[7]، وفي مقام رابع يظهر تهوره وعدم اتزانه واندفاعه بحماسة تغلب عليها العاطفة لا العقل، فهو يمدح خطة عمه الرامية إلى تخليص البلاد من لوذريق[8] دون أن يناقش الأمر بروية، ثم يعاوده يأس مفاجىء وقد اكتشف أن خطة عمه تتطلب مالاً كثيراً[9]. فهذه المواقف تبين شخصيته الضعيفة المترددة المذبذبة، فهو أضعف من أن يكون حاكماً نصيراً للحق تغلبه عواطفه حتى أن مجرد لقاء مع محبوبته يعيد له حماسته، ولذلك فهو لا يملك أن يخلّص البلاد من ظلم لوذريق رغم أن الناس يعلقون عليه آمالهم.

---

(١) المرجع نفسه جـ ١ ص ١٩ .
(٢) المرجع نفسه جـ ١ ص ١٨ و ١٩ .
(٣) المرجع نفسه جـ ١ ص ٣٥ .
(٤) المرجع نفسه جـ ١ ص ٢١ .
(٥) المرجع نفسه جـ ١ ص ١٨ .
(٦) المرجع نفسه جـ ١ ص ٢٣ ـ ٢٤ .
(٧) المرجع نفسه جـ ١ ص ٣٥ ـ ٣٦ .
(٨) المرجع نفسه جـ ١ ص ٣٦ ـ ٣٩ .
(٩) المرجع نفسه جـ ١ ص ٣٩ ـ ٤٠ .

وهكـذا تخفق الرواية في رسم شخصية قوية له لعدم تمكنها من التوفيق بين الأمور التـاريخية وغير التاريخية، فقد طغت الأمور الأخرى على شخصيته وحوّلته من أمير وقائد إلى مجرد عاشق ولهان متردد لا يستطيع أن يسيطر على عواطفه، وفي هذا تغليب للعواطف على العقل يتماشى مع ما يريده المؤلف لقرائه.

٣ ـ أوباس :

إذا كان الفونس وفلورندا بطلي قصة الحب المهيمنة على الرواية ، فإن الراهب أوبـاس أخـا الملك غيطشة يعتبر بطل الرواية الروحي من خلال ما يمثله من قيم نصرانية، فهـو لذلـك شخصية خطيرة تكمن خطورتهـا في أنها تمثـل رجـل الدين النصراني الـذي يواجه المسلمين بتعصب لا حد له. وهو ليس ذاك الراهب الذي ينعزل عن الدنيا في دير على غِرار ما يفعل كثير من رجال الدين النصارى، فإنه يعيش مع كثير من حوادث الرواية يؤثر فيها تأثيراً كبيراً نظراً لما يتمتع به من قوة شخصية ووعي واهتمام بأمور البلاد. وتتبين قوة شخصيته من خلال محورين : يدور المحور الأول حول محاولتــه التخلص من لوذريق[١] حتى يمكّن آل غيطشــة من اســترداد الحكم[٢]، فيتصدى بقوة وجرأة له متهماً إياه بالتآمر على مصلحة البلاد كاشفاً مساوىء حكمه أمام جمهرة من رجال الدين والدولة[٣]، كما يعمل على إنقاذ فلورندا في خطة ناجحة عندما همّ بها لوذريق[٤]، لذا كان الملك يخاف من قوة تأثيره وكان يمنّي النفس لو أنه يفر من سجنه بعد محاكمته غير العادلة حتى يجد ذريعة لقتله دون أن يتعرض لنقمة الناس[٥]. ثم يتضاءل المحور الأول ليعطي للمحور الآخر قوة أكبر حيث يظهر موقفه من المسلمين ومحاولاته المستمرة ليوحد الناس ـ حكاماً ومحكومين ـ على اختلاف مللهم النصرانية من أجل حربهم ضد المسلمين[٦]، فيلاقي جزاء ذلك تعظيماً لا نظير

(١) المرجع نفسه جـ ١ ص ٣٦ .
(٢) المرجع نفسه جـ ١ ص ٣١ .
(٣) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٢٩ ٣٠ .
(٤) المرجع نفسه جـ ١ ص ٤٤ .
(٥) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٢٩ .
(٦) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٥٢ و ٥٤ و٦٨ و ٦٩ .

له من رجال الدين[1] والناس[2] ويجد عند الجند آذاناً صاغية وهو يحضّهم على القتال ويباركهم ويصلي بهم ويشجعهم[3]، وتدفعه حماسته الدينية وتعصبه إلى أن ينسى ما فعله به الملك من سجن[4] وظلم وإيذاء[5] ويخضع له دون احتجاج وقد استسلم لقدره[6]، كما يطلب من ابن أخيه ألفونس أن يقف إلى جانب الملك دفاعاً عن مملكة القوط حتى لا تضيع في أحضان غرباء[7]، ويبلغ تسامحه مداه عندما يحاول أن يجد عذراً ليوليان بعد انضمامه إلى المسلمين[8].

ولأن أوباس بطل الرواية الروحي فقد أضفت عليه هالة من التعظيم فالشعب يحبه ويقدسه[9] والجند على حبه واحترامه وهو[10] في نظر رجل الدين سرجيوس ملكاً كريماً من الملائكة[11] فقد «سما فوق مرتبة البشر ذوي المطامع الشخصية.. يفعل كل ما في امكانه، حباً لشعبه ووطنه.. حتى لا يهزم ويتشتت[12] وتظهر الرواية تسامحه الشديد أمام ظلم لوزريق في حين أنها تبين سخطه إزاء انتصار المسلمين[13] فهو يعلن صراحة أمام يوليان والفونس وطارق عن غضبه لأنه يرى بلاده «تستعمر وتذل ويؤسر رجالها وتسبي نساؤها وتسلب غنائمها»[14]، وتتوج الرواية تمجيده من خلال قول طارق له: «بورك فيك من رجل عاقل شهم.. وإني لأعجب لفشل أمة بها رجل حكيم مثلك»[15] فيجيب قائلاً: «أرجو من الله أن يجد هذا الشعب على يديك الأمن والسلام»[16] مؤكدة على نبله وشهامته حتى مع أعدائه، وفي ضوء هذا كله يمكن اعتباره من أخطر شخصيات العمل.

---

(1) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٤٩ .
(2) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٢٩ .
(3) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٦٨ .
(4) المرجع نفسه جـ ٢ ص ١٦ .
(5) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٦٩ .
(6) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٦٩ .
(7) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٦٦ .
(8) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٥٤ .
(9) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٢٩ .
(10) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٦٨ - ٦٩ .
(11) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٤٩ .
(12) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٦٨ .
(13) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٩٢ - ٩٣ .
(14) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٩٢ - ٩٣ .
(15) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٩٣ .
(16) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٩٨ .

٤ ـ يعقــوب :

نجحت الرواية نجاحاً لا بأس به في تقديم شخصية يعقوب اليهودي على الصعيد الفني، فقد بدا لأول وهلة مجرد خادم مطيع مخلص يحفظ العهد[١] وكان قد تربى في بيت الملك غيطشة وبقي مخلصاً لأسرته حتى بعد أن زال ملكها وفقدت العرش[٢]، ونراه يسهر على راحة ألفونس وينفذ أوامره[٣] كما يهتم اهتماماً كبيراً بانقاذ فلورندا ولهذا يبقى موضع ثقة الفونس[٤] مثلما هو محل ثقة أوباس[٥]. ويبدو للقارىء أنه مجرد خادم نصراني بقي على الولاء لآل غيطشة حتى يثير اهتمامه في الاجتماع السري لليهود الذي حضره ألفونس[٦]، فيعلن يعقوب باسم جمعية سرية تدين بدين معين[٧] سعي أعضائها إلى الخلاص من لوذريق كما يعلن ولاءهم لألفونس باعتباره الملك الشرعي ولا يعرفون ملكاً سواه[٨]، ثم يتضح أن يعقوب يهودي من أسبانية قد ذاق اضطهاد لوذريق وذله مثل كثير من اليهود فتستر بالنصرانية وراح يقيم شعائر دينه في السر خوفاً من بطش الملك[٩]، وقد نجح الإعداد إلى حد ما في أن يثير الاهتمام بشخصيته وكان بإمكانه أن يكشف عنها على الصعيد الفني ضمن إطار تشويقي إلا أنه لم يفعل.

ولم يتنبه الإعداد إلى خطأ على مستوى المضمون، فإن عدم الإحاطة بشخصيته منذ البداية يؤدي بالقارىء إلى أن يتعاطف معه خلال أكثر من نصف الحوادث خاصة أنــه إيجابي له دور مهم في الفتح، فقد نجح مع يهودي آخر هو سليمان في استمالة الفونس إلى المسلمين[١٠] وما نتج عن هذا من خذلان الجند للوذريق وانضمامهم إلى

---

(١) المرجع نفسه جـ ١ ص ٣٤ و ٤١ و ٥٣ .

(٢) المرجع نفسه جـ ١ ص ٣٣ ـ ٣٤ .

(٣) المرجع نفسه جـ ١ ص ١٤ و ٤١ و ٥٣ .

(٤) المرجع نفسه جـ ١ ص ٤٣ و ٤٤ .

(٥) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٧ .

(٦) المرجع نفسه جـ ١ ص ٥٨ ـ ٥٩ .

(٧) يكتشف القارىء فيما بعد أنها جمعية يهودية فتح الأندلس جـ ٢ ص ٥٥ .

(٨) فتح الأندلس جـ ١ ص ٥٨ و ٥٩ .

(٩) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٥٥ .

(١٠) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٧٢ ـ ٧٥ .

المسلمين على حد زعم الرواية[1] . ويبدو هذا في ظاهره لصالح المسلمين إلا أن ما يقوم به إنما يهدف في حقيقة الأمر إلى أن ينتقم من مضطهديه ويسترد مكانته[2]. وتلقي الرواية ضوءاً مميزاً عليه في نهايتها فهو حبر من أحبار اليهود ومن كبار أغنيائهم[3] يبقى على دينه بعد الفتح[4] .

الفصل الثاني : فتح الأندلس في ميزان النقد:

عرض الفصل الأول رواية «فتح الأندلس» المبسطة كما قارن بين الأصل والفرع، وفي هذا الفصل نقد للرواية من حيث المفهومات والوقائع التاريخية المتصلة بالفتح وأثر ذلك على أولاد الأمة فهم يتلقونها على أنها من عقيدتهم وتاريخهم .

أهل الكتاب :

لم يتنبه الإعداد إلى أهمية أن تعالج حوادث الرواية من وجهة نظر إسلامية أساسها المتين التوحيد، والله عز وجل ينبهنا في كتابه العزيز إلى نماذج قصصية في حياة الرسل ضمن هذه الدائرة، فقد أرسلت الرسل لدعوة الناس إلى عبادة الله الواحد الأحد والانقياد إلى شرعه، وقال الحق سبحانه وتعالى في هذا الشأن:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾[5]

فكان لزاماً على الرواية تناول الحوادث في إطار التوحيد خاصة أنها تقع بعد ظهور الإسلام الذي ارتضاه الله ديناً للناس كافة .

١ ـ النصارى :

غلبت على الحوادث أجواء نصرانية عرضت كأنما العمل لا يتناول جانباً من

(١) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٧٦ ـ ٧٧ و ٨٦ ـ ٨٧ .
(٢) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٩٦ ـ ٩٧ .
(٣) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٩٦ ـ ٩٧ .
(٤) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٩٧ .
(٥) سورة الأنبياء آية ٢٥ .

التاريخ الإسلامي . وقد بدأت حوادث الرواية يوم ٢٥ من كانون أول سنة ٧١١م[١] (٩ من ربيع أول ٩٣هـ) ويعتبر النصارى يوم ٢٥ كانون أول من كل عام مقدساً يحتفلون فيه بعيد ميلاد المسيح عليه السلام . وبدا تركيز على احتفالات الناس في هذا العيد المبتدع وما يقومون به من طقوس ما أنزل الله بها من سلطان فهم يبدون في أفخر ما يملكون من ملابس وقد أسرعوا إلى الكنائس يتبادلون التهاني[٢] ، وكثرت في العمل مصطلحات ورموز خاصة بالنصارى فمن ذلك ذكر الكنيسة والصليب والمرتلين والهيكل المقدّس والرداء الكهنوتي والدير[٣]، كذلك ذكرت ألقاب رجال الدين مثل الأسقف والشمّاس والراهب والمطران والقديسين[٤]، وقد تكررت كلمة الأب (وهي كلمة يدعو بها النصارى بعض رجال الدين عندهم) أكثر من ثلاثين مرة[٥]، وذكر تعظيم الناس لرجال الدين وتقديسهم[٦] .

وكان هناك اهتمام بتصوير أجواء دير الجبل حيث لجأت فلورندا وخالتها هرباً من بطش لوذريق[٧] ، وهذا له دلاله في توجيه الأنظار إلى الأديرة وأهميتها، ليس فقط باعتبارها أماكن عبادة ترفرف عليها السكينة والهدوء والاستقرار على حد زعم الرواية، بل باعتبارها أيضاً ملاذاً للمظلومين، ومن المهم في هذا المقام الإشارة إلى استقبال رئيس الدير سرجيوس لفلورندا فقد ضمها إلى صدره بدافع من الحنان ووصفها بأنها زهرة نضرة[٨]. ومن الأمور المتصلة بالنصرانية أمر شرك فلورندا الذي ظهر في موضعين[٩] وقد تم بسط الأمر في الحديث عن شخصيتها، ولا يرى الإعداد عملها

---

(١) فتح الأندلس جـ ١ ص ٦ والصواب أن تكون ٧١٠ م حتى يكون هناك اتفاق مع سنة ٩٢ هـ وهي سنة فتح الأندلس .

(٢) فتح الأندلس جـ ١ ص ٦ - ٧ .

(٣) المرجع نفسه انظر على سبيل المثال جـ ١ ص ٦ و٧ و٩ و١٠ و٢٢ و٣٧ و٥٠ وجـ ٢ ص ٢١ و٢٤ - ٢٧ .

(٤) المرجع نفسه انظر على سبيل المثال جـ ١ ص ٦ - ٨ و٩ و١٠ و١٦ و٣٤ و٥٣ و٨٢ وجـ ٢ ص ١٩ و٢٢ و٢٦ و٣٤ و٥٢ .

(٥) المرجع نفسه انظر على سبيل المثال جـ ١ ص ٩ و٢٢ و٢٣ و٤٢ و٤٨ وجـ ٢ ص ١٥ و٢٦ و٣١ و٤٥ و٨٢ و٨٩ .

(٦) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٢٤ و٢٥ و٢٩ .

(٧) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٢٤ - ٢٧ .

(٨) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٢٦ .

(٩) المرجع نفسه جـ ١ ص ٣٣ وجـ ٢ ص ٧٩ .

هذا شركاً، بل يعتبره عبادة على عادة ما يفعل النصارى، والخطورة المتمثلة في شركها هذا أن صاحبته قد قدمت على أنها بطلة عفيفة طاهرة مخلصة صادقة قريبة الشبه بالملائكة ودعاؤها مستجاب(١)، ولابد أن تلتقي مع ألفونس بعد الحياة الدنيا في الأمجاد السماوية في أحضان الآباء والقديسين(٢).

عند الحديث عن شخصية أوباس في باب سابق تبين للقارىء أن الرواية قدمته على اعتبار أنه البطل الروحي لها رغم كل ما يحمل من حقد على الإسلام، ويأتي الحديث عنه في هذا الموضع لأنه يمثل شخصية نصرانية شديدة التعصب لدينها لها مواقف متشددة من الإسلام والمسلمين، ولم يكن يتبع بدعة الرهبانية في دير بل هو في الرواية يَخوضُ غمار الحياة مدافعاً عن معتقده المبتدع وعن لوذريق والأندلس وأهلها بكل ما عنده من عزم حتى لا يدخل المسلمون البلاد، ومن هذا المنطلق فإن الصراع بين ما يمثله هو وما يمثله المسلمون لا يقع ضمن إطار حرب يدافع فيها طرف عن بلاده أمام هجوم طرف آخر فقط، بل هو صراع بين الكفر والشرك والضلال وبين التوحيد، وقد آثر الإعداد أن يعلي من شأن الضلال ويدعمه إيجابياً حتى نهاية الرواية رغم أن سنة الله في خلقه ألا يتعايش الضلال والإيمان، بل إن موقف الرواية منه يعكس تقديرها واحترامها له فتتابع بحماسة بالغة جهوده لوقف زحف المسلمين ومواجهته، ونسمعه يقول لرئيس الدير سرجيوس عندما وصل إليه خبر نزول المسلمين بعض المدن الأندلسية: «هل من الحكمة والتعقل أن نساعد الغريب على القريب؟ إن (لوذريق) مهما فعل فهو منا، ونحن معه نشرب من ماء واحد.. ونقرأ في كتاب واحد، ونتكلم لغة واحدة.. ونصلي صلاة واحدة»(٣) ويترجم كلماته تلك إلى أفعال فينضوي تحت راية لوذريق عدوه اللدود السابق وقد نسي عسفه وبطشه، يفعل هذا من أجل أن تتحد كلمة الضلال لمحاربة المسلمين. والخطر المجسد في شخصيته أن الرواية تعظمه وتعلي من شأن دوره، فهو إنسان نبيل قد سما فوق مرتبة البشر ذوي المطامع الشخصية يدافع عن البلاد والعباد حباً لشعبه ووطنه حتى لا يهزم ويشتت(٤).

(١) المرجع نفسه جـ ١ ص ٢٠ .

(٢) المرجع نفسه جـ ١ ص ٤٢ .

(٣) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٤٨ - ٤٩ .

(٤) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٦٨ .

كما تدفع الرواية الجانب الإسلامي ليعظمه ويمجد جهوده رغم ما يمثل من ضلال وما يكنّ للإسلام والمسلمين من عداء فيمدح طارق شهامته وحكمته وعقله النيّر،[1] ولابد أن هذا يمثل نصراً للنصارى وهم يرون مجاهداً مسلماً من طراز طارق يعظم رمزاً من رموز الشرك والضلال.

تلك أمور عن النصارى لم يدرك الإعداد خطورتها بما تحمل من مفهومات فاسدة لأنه لم يتعامل معها بميزان الإسلام مكتفياً باتباع خطوات زيدان.

وابتداء نقول إن الحق صرّح في كتابه العزيز بتكفير النصارى[2]، فقد قال في محكم آياته:

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾[3]

ولم يشرع المسيح عليه السلام للنصارى أن يحتفلوا بعيد الميلاد، فهذا مما ابتدعوه بعد الحواريين[4]، أما ما صوروا من تصاوير في كنائسهم[5] وتعظيم الصليب[6] وصلواتهم واحتفالاتهم[7] فهذه ليست منقولة عن المسيح عليه السلام وليست مذكورة في الأناجيل التي ينقلونها عنه فقد وضعها المجمع الأول بعد المسيح بمدة تزيد على ٣٠٠ سنة[8]، وهكذا بدّل النصارى ما جاء به المسيح عليه السلام[9]. أما ما يجري من احتفالات مبتدعة في الكنائس مع ما يرافقها من تبرج النساء واستخدامهن العطور والزينة واختلاطهن بالرجال بمنأى عن الطهارة الروحية والجسدية، فإنما هذا مما يحلّ

---

(١) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٩٣.

(٢) ابن تيمية الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح جـ ١ ص ٣٤٩.

(٣) سورة المائدة آية ٧٢ انظر سورة النساء آية ١٧١ - ١٧٣.

(٤) الجواب الصحيح جـ ٢ ص ١٥ انظر النويري نهاية الأرب في فنون الأدب جـ ١ ص ١٩٢.

(٥) الجواب الصحيح جـ ١ ص ١١٧ و ١٢٥.

(٦) المصدر نفسه جـ ١ ص ١٢٣ و ٣٦٠ وجـ ٢ ص ٩.

(٧) المصدر نفسه جـ ١ ص ١٢٥.

(٨) المصدر نفسه جـ ١ ص ٣٦٠ وجـ ٢ ص ٩ انظر نهاية الأرب جـ ١ ص ١٩٤.

(٩) الجواب الصحيح جـ ٢ ص ٩.

النصارى ما حرّم الله عز وجل ويسقطون ما أوجب من أنواع الطهارة من الغسل وإزالة النجاسة[1].

ويدخل تعظيم النصارى لرجال الدين عندهم في قول الحق:

﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[2].

واتباع الرهبانية في الأديرة هو مما لم يقرّه المسيح عليه السلام[3]، فواقع الحال أن الأديرة تمثل هروباً من الدنيا ما أمر الحق سبحانه وتعالى رسوله وعبده المسيح عليه السلام أن يتبعها هو ومن آمن معه وما كتبها عليهم بل هي أمور محدثة[4]، وقد قال الحق في هذا:

﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴾[5]

وذكر ابن كثير رحمه الله في تفسيره لهذه الآية الكريمة أن هذا ذم لأمة النصارى من وجهين: أحدهما الابتداع في دين الله ما لم يأمر به تعالى؛ والآخر عدم قيامهم بما التزموا به مما زعموا أنه قربة تقربهم إلى الله عز وجل[6].

وفي الرد على أمر النصارى وشخصية أوباس وما تمثله نقول إنه كان على الإعداد أن يعيد النظر في أمر النصارى، خاصة في أمر أوباس بناء على الرؤية الإسلامية التي

(١) المصدر نفسه جـ ٢ ص ٥٢ ـ ٥٣ .
(٢) سورة التوبة آية ٣١ .
(٣) الجواب الصحيح جـ ٢ ص ٩ .
(٤) المصدر نفسه جـ ٢ ص ٢٣٠ .
(٥) سورة الحديد آية ٢٧ .
(٦) ابن كثير تفسير القرآن العظيم جـ٤ ص ٣١٥ .

غابت عن هذه الرواية. فبدل أن يركّز الإعداد على تعصب أوباس لنصرانيته وعدائه للإسلام وانضمامه تحت لواء لوذريق الظالم الضال، كان يتحتم عليه أن يبين شخصية نصرانية تساند الحق وتجاهر بعدائها للكفر والباطل بعدما تبين لها الحق من خلال تتابع الحوادث، ويتوجب علينا أن نسأل كيف غاب عن المعد أن أوباس وغيره من الرهبان قد قرأوا عما كُتِبَ عن خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل. فمعهم التوراة والإنجيل بعد مبعث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وفيهما حكم الله[1]. وكان اليهود والنصارى مأمورين باتباع الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل[2]. وقد قال الحق:

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[3].

ولابد أن أخبار الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ورسالته إلى الناس كافة وأخبار فتوحات المسلمين قد وصلت إلى الأندلس من خلال اتصال أهلها بالمغرب العربي: هذا من جهة ومن جهة أخرى فينبغي الإشارة إلى شواهد في القرآن الكريم أوردها الحق ولم يتنبه إليها الإعداد في حق أهل الكتاب، فقد قال الله عز وجل:

﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ . . . . . ﴾[4].

كما قال:

﴿ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾[5]

(١) الجواب الصحيح جـ ١ ص ٣٦٨ و ٣٦٩.
(٢) المصدر نفسه جـ ١ ص ٣٧١.
(٣) سورة الأعراف آية ١٥٧.
(٤) سورة آل عمران آية ٧٥.
(٥) سورة آل عمران آية ١١٣.

وقال أيضاً :

﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾[1]

وقال في حق أهل الكتاب :

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[2]

فالله عز وجل العادل الحكيم قد مدح من اتبع موسى والمسيح عليهما السلام على الدين الذي لم يُبدل ولم يُنسخ :[3]

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[4]

ومع تلك الحقائق التاريخية التي أوردها الله في كتابه العزيز بحق فئة من أهل الكتاب آمنت بالحق، فإن الإعداد لم يشر إليهما بل اكتفى بما قدم زيدان من شخصيات نصرانية مثل أوباس.

وأما على الصعيد التاريخي فيجد القارىء مبالغة كبيرة الشأن في بيان دور النصارى في الفتح، فقد أظهرت أن ما قام به يوليان وألفونس وجندهما أمر لا يستهان به في

(١) سورة آل عمران آية ١٩٩ .
(٢) سورة المائدة آية ٨٣ ـ ٨٤ .
(٣) الجواب الصحيح جـ ١ ص ٣٥٠ .
(٤) سورة الأعراف آية ١٥٧ .

الفتح[1]، فلولا جهودهم ما تم للمسلمين العبور والظفر، وستكون لهذا الأمر وقفة عند الحديث عن الجوانب التاريخية في هذا الفصل إن شاء الله .

٢ ـ اليهود :

تبرز الرواية بصورة مثيرة حرص اليهود على عبادتهم، فهم متمسكون بدينهم قد نهضوا لمناصرة ألفونس بأرواحهم وأموالهم حتى يستعيد العرش ويساعدهم على إقامة شعائر دينهم[2]، ثم اندفعوا لمساعدة المسلمين أيضاً لأن الفتح الإسلامي، كما زعمت الرواية، يؤدي إلى خدمة قضيتهم وحرية عبادتهم[3]، وقد بينت الرواية في هذا الشأن ما أصابهم من اضطهاد على يدي لوذريق واضطرارهم إلى اعتناق النصرانية وهم يقيمون شعائر دينهم سراً خوفاً من بطشه وبطش رجاله[4].

ولابد من بيان جوانب تلقي ضوءاً على اليهود ومعتقداتهم من خلال بيان سلوكهم باعتبار أن المعتقد يبين السلوك، وفي الرواية شواهد عدة تساعد في التعرف إلى ما يمارسونه من سلوك، ففي اللقاء السري الذي جمع ألفونس بالجمعية اليهودية السرية تظهر جوانب من معتقداتهم القائمة على طقوس غامضة: فهناك الرداء الأسود الذي يلبسه اليهودي فلا يظهر من خلاله أي ملمح من ملامح وجهه فيبدو كأنه شبح[5]، وهناك تبادل التحيات بينهم بطريقة خاصة[6]، إضافة إلى كلمات غامضة وإشارات غريبة تصدر عنهم[7]، فمن ذلك استخدام كلمات مثل الطعام والزيت كناية عن تغيير الحكم والمال[8]، وتوجد إشارات إلى جمعهم الذهب الكثير واعتقادهم أن المال هو

(١) فتح الأندلس جـ ٢ ص ٦٤ و ٩٥ ـ ٩٦ .
(٢) المرجع نفسه جـ ١ ص ٥٩ .
(٣) المرجع نفسه جـ ١ ص ٦٣ .
(٤) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٥٥ .
(٥) المرجع نفسه جـ ١ ص ٥٦ .
(٦) المرجع نفسه جـ ١ ص ٥٧ .
(٧) المرجع نفسه جـ ١ ص ٥٩ .
(٨) المرجع نفسه جـ ١ ص ٥٧ .

الحياة[1]، ويصرح يعقوب اليهودي (لألفونس) بأهمية أن يحبب إليه الجند عن طريق إعطائهم مكافآت مالية لأن المكافآت تجعل منهم جنوداً مخلصين له[2].

وتُسهمُ بعض المواقف في إلقاء مزيد من الضوء على تصرفاتهم النابعة من معتقداتهم، فعندما يتعرف القارىء إلى يعقوب لأول مرة يعرفه على أنه شخص لا يهتم بمظهره كثيراً[3] تفوح رائحة كريهة من لحيته[4]، ولكنه في صورة أخرى أحد أحبار اليهود ومن كبار أغنيائهم قد نذر أن يلبس من الملابس أخشنها ويأخذ من الحياة أبسطها ويطلق شعره ولحيته ويسعى بكل ما يملك من مال وقوة لينتقم من مضطهدي اليهود ويسترد مكانتهم[5].

وكان جزء من سياستهم تنفيذ أوامر سرية بالانتقام من كبار رجال حكومة القوط عن طريق خطف أولادهم وقتلهم[6]، وبالفعل قام سليمان اليهودي بخطف ابن يوليان الذي اتضح للقارىء فيما بعد أنه بدر، ولكنه لم يقتله بل سلّمه إلى أحد الكهنة الوثنيين لينتهي أمره إلى طارق بن زياد[7]، وإن لم يكن لحادثة سليمان وبدر أساس تاريخي فإنها تكشف عن سياستهم السرية في الانتقام بصورة عامة.

تلك أمور مجتمعة توضح معتقد اليهود الذي ينم عنه سلوكهم، ومع ذلك فإن الرواية قد حرصت حرصاً شديداً على أن يستردوا مكانتهم ويمارسوا شعائر دينهم، حتى بعدما تبين لهم الحق وعندهم التوراة والإنجيل:

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[8].

(1) المرجع نفسه جـ ١ ص ٤٠ و ٥٧ وجـ ٢ ص ٩٦ - ٩٧.
(2) المرجع نفسه جـ ١ ص ٥١.
(3) المرجع نفسه جـ ١ ص ٣٥.
(4) المرجع نفسه جـ ١ ص ٤٠.
(5) المرجع نفسه جـ ١ ص ٩٦ - ٩٧.
(6) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٩٧.
(7) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٩٧.
(8) سورة الأعراف آية ١٥٧.

فإنهم كانوا مأمورين باتباع الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم.

الجهاد والسلطة:

ينبغي توفر عناصر مثل المعرفة بالإسلام والحياد والموضوعية عند من يكتب عن الإسلام من غير المسلمين وخاصة عندما يتناول أموراً مثل الجهاد والسلطة حتى يكون ما يكتب موضوعياً ملتزماً بالحق.[1] وبما أن مؤلف الرواية غير مسلم ومشهود له بالطعن في الإسلام فقد ظهرت رؤيته لأمري الجهاد والسلطة في الإسلام خاطئة مشوهة لم يتنبه الإعداد إليها.

الجهاد:

لم تشر الرواية إلى جهود المسلمين في الفتح إلا بعد مرور أكثر من ثلث حوادثها، كما أنها لم تركز على الجانب الإسلامي بقدر ما ركزت على الجانب غير الإسلامي ودوره المزعوم في الفتح، وإن بدا هذا في ظاهر الأمر لصالح الإسلام والحقيقة غير هذا.

لقد ورد فتح الأندلس في الرواية من وجهة نظر الجانب غير الإسلامي، ففي أول موضع يُذكر فيه الإسلامُ والمسلمون يقول سليمان اليهودي إن اليهود قد حببوا إلى المسلمين بلاد الأندلس وبينوا لهم سهولة فتحها[2]، ويقول في موضع آخر إن يوليان قد أخذ يعدد لموسى بن نصير خيرات الأندلس وكنوزها، إضافة إلى ما أصابها من تفكك وضعف[3]، فهذا من شأنه أن يعطي القارىء الناشىء فكرةً أن فتح الأندلس لم يكن مشروعاً إسلامياً قد خطط له منذ سنوات طويلة، بل يبدو أشبه بمغامرة جريئة قام بها المسلمون ارتجالاً بناءً على نصح اليهود والنصارى.

أما الربط بين الفتح والغنائم في عدة مواضع في الرواية فمن شأنه أن يؤكد على أن الجهاد لم يكن لإعلاء كلمة الله بل كان في سبيل دنيا يصيبها المسلمون، ففي موقفٍ يقول اليهودي يعقوب إن المسلمين يكتفون بالخراج والجزية ويبقون على أمر البلاد كما

(١) الجواب الصحيح جـ ١ ص ٣٧١.

(٢) فتح الأندلس جـ ١ ص ٦٠.

(٣) المرجع نفسه جـ ٢ ص ١١.

هي إذا ما فتحوها[1]، والأمر ذاته يقوله سليمان لألفونس وهو يحدثه عن المسلمين[2]، ولا ينسى أن يخبره بأنهم قد جنوا في حملة طريف بن مالك إلى جنوب الأندلس خيراتٍ وثماراً كثيرة[3]، ويردد مستشار الملك لوذريق في مقامين أن هدف المسلمين من الفتح هو الغزو أي السلب والنهب ثم العودة[4]، لذا تصف الرواية استيلاء المسلمين على ما في معسكر القوط من عدة وذخيرة وزاد وأمتعة وخيل وماشية[5]، كما تذكر ما حملوه من مجوهرات وتحف وصلبان وخوانٍ وأوانٍ ذهبية وفضية أصبحت كالجبل في خيمة طارق بن زياد[6]، ويبدو طارق وقواده مهتمين بأمر تقسيم الغنائم وبينهم الفونس ويوليان وسليمان ويعقوب[7] بدل أن يشكروا الله على ما أنعم عليهم من فتح، وفي موضع آخر يقول طارق لاوباس إثر المعركة الحاسمة: «(إننا) في كل بلد نفتحه نطلق الحريات الكاملة للشعب يدبر أموره كيف يشاء.. ولا نتدخل في عقائدهم ولا ديانتهم.. ولا حكمهم لأنفسهم بل نرفع عن المظلوم ظلمه.. ونكرم من أهين.. ونعز من أُستذِلَ.. ونحمي الضعيف من بطش القوي.. نضمن لهم الأمن، وندفع عنهم كيد الأعداء.. ولا نرهقهم بالضرائب الباهظة.. بل كل ما نطلبه جعلا بسيطاً هو الجزية، من يؤديها بات آمناً على حياته وعرضه وماله»[8]. ويخلو كلام طارق في الرواية من أية إشارة إلى ركيزتين من الركائز الثلاث التي يدعو إليها المجاهدون المسلمون: الإسلام أو الجزية أو الحرب[9].

ومن جهة فإن في الرواية تأكيداً على أمر الغنائم والجزية وربطها بجهاد المسلمين بحيث يبدو الفتح وغيره من الفتوحات متصلاً بأهداف مادية بحتة، ويكون الجهاد

(١) المرجع نفسه جـ ١ ص ٦٣ .
(٢) المرجع نفسه جـ ٢ ص ١٠ .
(٣) المرجع نفسه جـ ٢ ص ١٢ .
(٤) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٣٩ و ٤٢ .
(٥) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٩١ .
(٦) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٩١ .
(٧) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٩٢ .
(٨) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٩٤ .
(٩) البخاري صحيح البخاري كتاب الجهاد باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب جـ ٤ ص ١١٨ انظر صحيح مسلم كتاب الجهاد باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث جـ ١٢ ص ٣٧ - ٤٠ .

من وجهة نظر الرواية لمكاسب دنيوية بعيدة الصلة بإعلاء كلمة الله، ومن جهة أخرى فإن ذكر الجزية في مواضع عدة في الرواية[1] لا يبين أنها خراج مضروب على رؤوس الكفار إذلالاً وصغاراً لهم[2] مصداقاً لقول الحق:

﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾[3]

فإن أهل الذمة يعطونها أذلاء مقهورين ويلزمون ترك الأمور التي من شأنها أن تلحق الضرر بالمسلمين في مال أو نفس أو عرض[4]، فإن خرجوا عن شيء منها فلا عهد لهم ولا ذمة، وقد حل للمسلين منهم ما يحل من أهل الشقاق والمعاندة[5].

وتقدم الرواية جانباً آخر من جهاد المسلمين مجسداً في شخص بدر، تلك الشخصية الخيالية التي وجدت من أجل عنصر المفاجأة. وقد ركز العمل على جهاده أكثر من تركيزه على جهاد موسى وطارق فهو يقتحم صفوف القوط ملقياً الرعب في قلوبهم لإنقاذ فلورندا[6] ويخاطبها قائلاً: «لا تخافي يا مليحة فقد أتاك بدر»[7]، ثم يعبر عن شعوره نحوها بعد أن شتت رجال القوط من حوله ورفعها بيد واحدة قائلاً: «ما أجملك!»[8] وتعقّب الرواية على هذا: «لقد أعجبته ووقعت في نفسه موقعاً حسناً فأمر رجاله بأخذها إلى الخيمة»[9]. وهذا مشهد لا يرتبط بموقف مجاهد يذود عن امرأة

---

(١) فتح الأندلس جـ ١ ص ٦٣ وجـ ٢ ص ١٠ و ٩٤.
(٢) الماوردي الأحكام السلطانية والولايات الدينية ص ١٤٢ انظر ابن قيم الجوزية أحكام أهل الذمة جـ ١ ص ٢٢
(٣) سورة التوبة آية ٢٩.
(٤) الأحكام السلطانية ص ١٤٥ انظر أبو يوسف كتاب الخراج ص ١٤٨ - ١٤٩. وعبدالقادر أبو فارس القاضي أبو يعلى الفراء وكتابه الأحكام السلطانية ص ٣٨٦ - ٣٨٧.
(٥) أحكام أهل الذمة جـ ١ ص ٢٥.
(٦) فتح الأندلس جـ ٢ ص ٨٠ - ٨١.
(٧) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٨٠.
(٨) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٨١.
(٩) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٨١.

ضعيفـة أمام قوة تريد بها شراً، بل إنه يرتبط بمقاتل يحارب ليظفر بامرأة قد أسره جمالها. ويتأكد هذا المعنى عندما يطلب طارق من بدر بعد المعركة أن يعيدها إلى أبيها يوليان لأنها خطيبة الفونس، فيجيب بدر: «اطلب مني أي شيء إلا هذه الأسيرة. . فقد وقعت من نفسي موقعاً فريداً. . وناضلتُ في سبيلها نضالاً شديداً وقتلت من أجلها ستة من فرسان القوط». هكذا تؤكد الرواية على الدافع الحقيقي وراء قتال بدر فهو يقاتل من أجل امرأة يصيبها.

وأثنـاء المعركة الحاسمة يتضح أن بدراً كان يريد أن يأخذ الملك لوذريق «أسيراً يقدمه لطارق فينال بذلك فخراً ومجداً»[2]، فلم يكن قتاله لتكون كلمة الله هي العليا بل هو يقاتل من أجل المجد والفخار.

وقد روى البخاري في صحيحه: «جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله؟ قال: من قاتـل لتكـون كلمـة الله هي العليا فهـو في سبيل الله»[3]. وروى النسائي: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أول الناس يقضى لهم يوم القيامة ثلاثة، رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلتُ فيكَ حتى استشهدت قال: كذبت ولكنك قاتلت ليقال فلان جريء فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار»[4].

وفي المواجهة الفاصلة بين بدر ولوذريق بدا لبدر ألا يغمد سيفه في قلب الملك من أول دقيقـة[5] لأنـه «كان يجد متعة في رؤية نظرات الرعب والخوف والهلع في عيني

---

(١) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٩٥ .

(٢) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٩٠ .

(٣) صحيح البخاري كتاب فضل الجهاد والسير باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا جـ ٤ ص ٢٤ ـ ٢٥ انظر أبو داود صحيح سنن أبي داود باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا جـ ٣ ص ١٤ حديث رقم ٢٥١٧ والنسائي سنن النسائي باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا وباب من غزا يلتمس الأجر والذكر جـ ٦ ص ٢٣ و ٢٥ .

(٤) سنن النسائي باب من قاتل ليقال فلان جريء جـ ٦ ص ٢٣ ـ ٢٤ .

(٥) فتح الأندلس جـ ٢ ص ٨٩ ـ ٩٠ .

عدوه»[1]، وهذه صورة مقاتل همجي النزعات يجد متعة في تعذيب ضحيته لا يرى على أرض المعركة سوى ضحية يلهو بها وفق رغباته.

وهكذا تظهر الرواية أغراض المسلمين من الجهاد والفتح، فهي أغراض دنيوية تتعلق بالغنائم والخيرات والنساء الجميلات وتحقيق الرغبات والسعي نحو المجد والفخار.

الحكم: تصور نصراني ويهودي:

لا يقتصر موضوع الحكم في الرواية على الجانب الإسلامي فقط بل إنه يشمل ـ أيضاً ـ الجانبين النصراني واليهودي، فمن الضروري تناولهما للأهمية في طرح تصورات أشخاص يمثلون قيماً إيجابية في الرواية مثل أوباس وألفونس ويوليان ويعقوب وسليمان.

١ ـ رؤية نصرانية:

والحديث عن موضوع الحكم في الجانب غير الإسلامي تكون بدايته عند الراهب أو باس باعتبار أنه يجسّد القوة الروحية الزاخرة بالحماسة والحمية المطالبة باسترداد عرش آل غيطشة بعد أن اغتصبه لوذريق ظلماً فهو يرى أن إعادة الحكم لآل غيطشة يكون في إعداد طبقة العبيد والمساكين الذين يمثلون الطبقة الخامسة بعد طبقات الأشراف ورجال الدين والموظفين ورجال البلاط[2]، ويعتبر أن الاعتماد على هذه الطبقة من الفلاحين والجنود والعاملين ضرورة ملحّة تمكنه من استرداد العرش لابن أخيه ألفونس[3]، ويوضح شرطاً مهماً في خطته هذه إذ يقول لألفونس: «فلو أننا وعدنا هؤلاء العبيد المساكين أن نهبهم حريتهم إذا ساعدونا على استرداد عرش والدك لَمَا ترددوا في مساعدتنا.. وإنها لفضيلة كبرى.. ننال عليها (رضا) الله تعالى و(رضا) الناس»[4]، ويستند أوباس في تصوره هذا على أن أولئك «جميعاً يقاسون أشد أنواع الظلم وهم بحكم النظام الحالي قد فقدوا حريتهم»[5].

---

(١) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٩٠.
(٢) المرجع نفسه جـ ١ ص ٣٧ ـ ٣٨.
(٣) المرجع نفسه جـ ١ ص ٣٨.
(٤) المرجع نفسه جـ ١ ص ٣٩.
(٥) المرجع نفسه جـ ١ ص ٣٩.

عندما يتأمل المرء كلام أوباس يجد فيه تصوراً غريباً، فإن مساعدته للطبقة المظلومة مشروطة بأن تقدم هذه الطبقة عوناً لآل غيطشة لاسترداد العرش، ويعدّ هذا فضيلة كبرى، وهذا تصور غير صالح ينم عن فكر استغلالي انتهازي، كما أنه تفكير طبقي لابد أن يثير أحقاداً بين طبقات الناس لو قدر له أن ينفّذ، فإن استمالة طبقة اجتماعية، هي هنا الطبقة المستضعفة، من الفلاحين والجنود والعاملين وتأليبها على الطبقات الأخرى من شأنها أن توجد مشاعر حاقدة لا يمكن أن تؤدي إلى حكم عادل، والأهم من هذا أن هذا التصور ينبع من نفع شخصي لا يقوم على فكرة إنسانية بحتة بل يقوم أساساً على استرداد عرش، ولنا في تجارب أمم عبر، وما تجربة الدول الشيوعية بعيدة عنا فقد أخذت الشيوعية تهتف للطبقة العاملة فراحت الطبقة العاملة تكدح سبعين عاماً لتخرج مقهورة ذليلة دون أن تجني ثمراً، فخسرت دنياها وأخراها وباء منظرو حركتها بالخسران والذل والخزي وعذاب الآخرة أشد وأدهى. فالفيصل ليس تميز طبقة على حساب طبقات بل هو التقوى والعمل الصالح كما يقرر الإسلام الذي لا يسانـد طبقة على حساب طبقة. وقد شاءت سنة الله في الأرض أن يكون الناس طبقـات، ولكنهم متساوون لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى، وللناس حقوق وعليهم واجبات يعيشون في كنف حكم عادل يستمد شرعه من الحق جل وعلا، فينشأ مجتمع سوي متكافل متضامن، الغني يؤدي حقه والفقير يرضى برزقه ويسعى للكسب الحلال وتحسين أحواله بما يرضي الله دون أن يحقد على غني، فلا سيادة إلا لشرع الله تؤدى الأمانات والحقوق ولا يظلم أحد أحداً ولا يطغى الأغنياء ويستبدون ولا يظلم الفقراء فيحقدون. وفي تاريخ أمة الإسلام نماذج كثيرة تحققت بجهود رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فشاء الله بفضله أن تكون نماذج تحكي للأمم كيف وجدت هذه عندما توفرت النوايا الخالصة لإقامة شرع الله.

وإضافة إلى تصور أوباس السابق حول دعم طبقة اجتماعية على حساب طبقات، تكشف الرواية عن جانب آخر لا يقل فساداً عن الأول عندما يصرح قائلاً: «ولكن هناك مشكلة مهمة.. بل هي أهم مشكلة أمامنا على الإطلاق، وهي كيف ندبر الأموال اللازمة لتمويل حركتنا.. فلا شيء في هذا العالم يتم بغير المال؟!»[1] وهذا

(١) المرجع نفسه جـ ١ ص ٣٩.

تصور استغلالي يكمل فكره عن الحكم والتغيير، ويلجأ إلى اليهود ليؤمنوا له المال الكافي[1] ، فيعلنوا نتيجة لهذا أن ما بحوزتهم من مال هو لألفونس حتى يتمكن من استرداد عرشه[2]، فما يهمهم حقيقة هو أن يستردوا مكانتهم ويستطيعوا أن يمارسوا شعائر دينهم[3].

وهذا بمجمله فكر استغلالي نفعي يقوم على تأييد مبدأ الغاية تبرر الوسيلة، كما أنه يبيّن التقاء ملل الكفر والضلال وتعاونها على الباطل. واتفاقاً مع مبدأ النفعية وتسلط الهوى نرى اليهود يميلون إلى المسلمين ويصرحون علناً: «ستكون نحن أيضاً عوناً لهم (للمسلمين) لأن هذا يخدم قضيتنا»[4]. ويطرأ تغيير كبير على فكر أو بأس حول مفهوم الحكم واسترداد العرش ومحاربة الظلم، فقد قرر أن يضع يده بيد لوذريق الظالم عندما عرف بأمر المسلمين[5].

ويتوجب عرض تصور ألفونس عن الحكم باعتبار أنه محط آمال الناس لتخليصهم من ظلم لوذريق[6]، ويلاحظ في هذا الشأن أن الرواية تشير إلى أمر وراثة العرش[7] دون أن تضع معايير الصلاح والقدرة على حكم البلاد والعباد عندما يتولى الحكم.

أول أمر يرتبط بتصوره عن الحكم سعيه المستمر للانتقام ولاسترداد عرشه[8]، وفي أدق اللحظات حسماً وهي لحظات المواجهة بين المسلمين والقوط ينطلق بجنده للانضمام إلى جند المسلمين، على حد زعم الرواية، صائحاً: «لقد انتقمت لك ياشعب أسبانيا. . انتقمت لك يا والدي. . انتقمت لك يا أوباس. . انتقمت لكِ يا فلورندا. . انتقمت لنفسي»[9]، فهذا يصدر عن حاكم مرتقب يمثل القيم الحميدة

---

(١) المرجع نفسه جـ ١ ص ٤٠ ـ ٤١ .
(٢) المرجع نفسه جـ ١ ص ٥٨ ـ ٥٩ .
(٣) المرجع نفسه جـ ١ ص ٥٩ و ٦٣ .
(٤) المرجع نفسه جـ ١ ص ٦٣ .
(٥) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٥٠ ـ ٥٢ .
(٦) المرجع نفسه جـ ١ ص ٥٩ .
(٧) المرجع نفسه جـ ١ ص ١٨ و ١٩ و ٣٦ ـ ٣٧ و ٥٩ .
(٨) المرجع نفسه جـ ١ ص ١٨ و ١٩ و ٢٣ و ٣٦ ـ ٣٧ و ٦٤ وجـ ٢ ص ٣٢ و ٧٦ .
(٩) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٨٦ .

يرى اليهود فيه منقذهم ويسلّم له المسلمون مقاليد الحكم في الأندلس إذ أنهم لن يستغنوا عنه في حكومة هذه البلاد بعد فتحها كما يدّعي يعقوب اليهودي[1] .

الأمر الآخر يشير إلى أن تصوره للحكم مرهون بما يتحقق له من مكاسب دون اعتبار لإحقاق الحق ورفع الظلم عن البلاد والعباد، فعندما يكتب يوليان رسالة إليه ليقنعه بأهمية الوقوف إلي جانب المسلمين يخبره بأنه يضمن له عودة أملاك والده وأنه سيعود وسائر أهل غيطشة إلى ما كانوا عليه من العز قبل استبداد لوذريق[2]، وتؤكد الرواية على هذا الأمر عندما يعلن أن انضمامه إلى جيش المسلمين وفق تصور الرواية هو لاسترداد أمواله وضياعه[3] دون أن يذكر أي شيء عن إعادة الحقوق إلى أصحابها ورفع الظلم عن الناس وهو المكلف بهذا.

وتخفق الرواية في إقناع القارىء بأن ألفونس سيكون الحاكم المرجو في الأندلس، فهو أسير هواه تقوده عواطفه الجامحة لا عقله، ويكون من السهل على فلورندا أن تطلب منه أن يتخلى عن فكرة الحكم واسترداد العرش لأن هذا سيعرضه للخطر[4]، وشخص مثله لا يصلح أن يتولى أمور الناس.

٢ ـ رؤية يهودية :

يظهر في الرواية جانب من تصور اليهود للحكم، ففي البداية يعلنون تأييدهم المطلق لألفونس الذي لا يعرفون ملكاً سواه، كما يعلنون أنهم سوف يخدمونه حتى الموت فقد اتّحد هدفه مع هدفهم[5]، ويلاحظ هنا أن هذا التأييد الذي لا حد له مشروط بأن يساعدهم على إقامة شعائر دينهم[6]، فتكشف الرواية عن نواياهم وتظهر جانباً من تصورهم للحكم، فإن ما يهمهم في حقيقة الأمر هو حكم يحقق مصالحهم وإن تظاهروا بالتدين وتستروا بالدين.

---

(١) المرجع نفسه جـ ١ ص ٦٣ .
(٢) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٧٣ .
(٣) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٧٦ .
(٤) المرجع نفسه جـ ١ ص ١٩ .
(٥) المرجع نفسه جـ ١ ص ٥٨ ـ ٥٩ .
(٦) المرجع نفسه جـ ١ ص ٥٦ .

وتـظهر الرواية مرة أخرى نواياهم عندما يصل إليهم خبر فتوحات المسلمين في إفـريقية، إذ يطرأ تغيير مفـاجىء على موقفهم وخـططهم فهم يتمنـون أن يستولي المسلمون على الأندلس[1]، فأهواؤهم قد اتحدت مع المسلمين لأن هذا يخدم قضيتهم لإقامة شعائر دينهم بحرية[2]، والملاحظ أن التحول الذي طرأ على موقفهم هذا إنما تم خلال الاجتـماع السري للجمعية اليهودية، ففي ذلك الاجتماع أعلنوا ولاءهم المطلق لألفونس وفي الاجتماع ذاته تحول هذا الولاء إلى المسلمين.

وهكذا تظهر الرواية فساد رأي أوباس واجتهاداته الباطلة في الحكم وعدم صلاحية ألفونس لتولي أمر البلاد وتقلب رأي اليهود.

٣ ـ الحكم : رؤية إسلامية من وجهة نظر الرواية:

لا تغفل الرواية عن ذكر أمر الحكم في الإسلام وهو ذكر متناثر في ثنايا الحوادث.

يرد على لسـان الحاخام يعقوب أن المسلمين سيسلمون لألفونس مقاليد الحكم ويكتفون بالخراج والجزية والشؤون الخارجية إذا ما عرفوا أنه سيساعدهم[3]، كما يذكر سليمان اليهودي الأمر ذاته وهو يحدث ألفونس عن الإسلام والمسلمين[4]. إن أمور الجزية والخراج وتعيين حكام من قبل المسلمين في البلاد المفتوحة تؤكد على عملية استعـلاء المسلمين ووصول كلمتهم ودعوتهم إلى الناس، ويكون تعيين حكام من البلاد وضعاً مؤقتاً، فبعد أن يتعرف الناس إلى الإسلام ويدعون إليه يدخلون فيه ويطلبـون حاكـماً مسلماً يحكم بالحق والعدل[5]، وهذا هو التصور الذي غاب عن الـرواية في مجال حكم المسلمين. ومما عزز غياب هذا التصور الواضح لجانب من جوانب الحكم في الإسلام أن الرواية أشارت في مواقف عدة إلى أن غرض الفتوحات الإسـلامية جمع الغنـائم وأن المسلمـين يقـاتلون في سبيل مغـانم دنيوية مثل المال والنساء، دون ذكر أمر إقامة حكم الله في مجتمع أساسه العدل القائم على شرع الحق،

(١) المرجع نفسه جـ ١ ص ٦٠ .
(٢) المرجع نفسه جـ ١ ص ٦٣ .
(٣) المرجع نفسه جـ ١ ص ٦٣ .
(٤) المرجع نفسه جـ ٢ ص ١٠ .
(٥) أنا مدين بتوضيح هذا الأمر للاستاذ الفاحص فجزاه الله خير الجزاء.

الناس فيه متساوون لا يُكره فيه أهل الذمة على الدخول في الإسلام في ظل قول الحق جل وعلا :

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [1]

فتح الأندلس بين الحقيقة والرواية :

تعتبر مادة التاريخ الإسلامي في الرواية قليلة جداً مقارنة مع ما ورد من حوادث سواء ما اتصل منها بالجانب غير الإسلامي أم ما كان من خيال المؤلف ضمن الحبكة الروائية ، ولذلك جاءت المادة المتصلة بالفتح في الخلفية ، في حين ظهرت قصة حب فلورندا وألفونس وما رافقها من أمور عن أوضاع الأندلس وأحوال أهلها قبل الفتح في المقدمة ، ونتيجة لذلك تمت معالجة تلك المادة الإسلامية معالجة سطحية ووردت المعلومات الخاصة بها مبتورة رغم قيمتها في بيان ذلك الحدث التاريخي الكبير، ليس فقط في التاريخ الإسلامي ولكن في التاريخ الإنساني أيضاً، وإضافة إلى هذا فقد اتسمت معالجة الأخبار بعدم التزام بالحق فكثرت المعلومات الخاطئة، وربما بدا في الحديث عن فتوحات المسلمين واستعدادهم للفتح مديح [2]، مما يؤدي إلى نتيجة أن الأخبار في الرواية لابد أن تكون صحيحة ولكن واقع الحال غير هذا تماماً. ويوضح هذا الفصل ـ بعون الله ـ الأمور التاريخية المفتراة ويبين جوانب من الفتح الإسلامي للأندلس .

مقدمات الفتح :

وردت أول إشارة عن استعداد المسلمين للفتح في الرواية على لسان سليمان التاجر اليهودي بعد مرور أكثر من ثلث الحوادث ، فقد أخبر اجتماعاً سرياً للجمعية اليهودية أن العرب يستعدون لغزو الأندلس [3] وأن اليهود قد حببوا إليهم البلاد وبينوا لهم

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٦ .

(٢) فتح الأندلس جـ ١ ص ٦٠ .

(٣) المرجع نفسه جـ ١ ص ٥٩ .

سهولة فتحها[1]، ويؤكد يعقوب اليهودي على هذا الأمر خلال الاجتماع نفسه لأن هذا يخدم قضية اليهود. وفي مواضع أخرى إشارات تبين أن هدف المسلمين من الفتح هو الغزو، وقد استخدم مصطلح الغزو بدلاً عن مصطلح الفتح[2]، والغزو كما بيّنه مستشار لوذريق هو الحصول على مغانم وخيرات الأندلس[3].

ويفهم مما جاء أن فتح المسلمين للأندلس تم كأنه غزو مرتجل غرضه الأساسي الحصول على خيرات البلاد[4] أسْهم فيه اليهود والنصارى إسهاماً كبيراً، والحقيقة التاريخية تفنّد هذه المزاعم فلم يتم فتح الأندلس في أواخر القرن الهجري الأول بمعزل عن جهاد المسلمين الأوائل الذين قال فيهم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: «خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»[5]، فهذه الطلائع المسلمة التي انتشرت في شمال الجزيرة وشرقها وغربها طلائع خير أخذت على عاتقها أمر نشر عقيدة التوحيد فكان نصر الله حليفها، ولا يمكن أن ينظر إلى فتح الأندلس إلا على أنه حلقة في سلسلة فتوحات المسلمين الخيّرة[6]، وهذه الجهود الطيبة كانت تسير وفق خطة ترمي إلى أن تمتد الفتوحات في أرجاء المعمورة لإعلاء كلمة الحق والعمل على أن يكون فيما أنزل الله من شريعة سمحاء هو الحكم بعد زوال طواغيت الكفر والضلال، فعند الحديث عن الفتوحات الإسلامية وقوتها وسرعة سيرها ينبغي أن يفسر هذا الانتظار بالعقيدة[7].

وبالرؤية الإسلامية الصحيحة لجهاد المسلمين في الأندلس يبدو الفتح خطوة من خطواتهم لإعلاء كلمة الحق في الأرض، فهم مستخلفون فيها قد أمرهم الله عز وجل

(١) المرجع نفسه جـ ١ ص ٦٠ .
(٢) المرجع نفسه جـ ١ ص ٥٩ وجـ ٢ ص ٣٩ و٤٣ و٢٠ .
(٣) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٣٩ .
(٤) انظر على سبيل المثال :

Dozy, R. Spanish Islam : A history of the Moslems in Spain P. 235,233.

Hole,E. Andalus : Spain under the Muslims P. 20-22

Read, J. The Moors in Spain and Portugal P. 21 , 26 , 29

(٥) صحيح البخاري باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جـ ٥ ص ٢ - ٣ .
انظر الحميدي جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس جـ ١ ص ٣١ .
(٦) المغرب الإسلامي ص ٩٣ .
(٧) التاريخ الأندلسي ص ٣٣ .

أن يقيموا حكمه، وهذا تكريم جليل الشأن يناله المؤمنون من الخالق الحكيم. ففتح الأندلس هو فكرة إسلامية خالصة وهو ثمرة جهود مباركة مبكرة لم ينتبه الإعداد إلى أهميتها وقيمتها وهو يتبع خطى زيدان دون تمحيص، فقد روى الطبري رحمه الله تصريحاً ورد على لسان الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى من انتدب من أهل الأندلس: «أما بعد فإن القسطنطينية إنما تفتح من قبل الأندلس وإنكم إن افتتحتموها كنتم شركاء من يفتحها في الأجر والسلام»[1] ويروي الطبري في حوادث سنة ٢٧هـ أن أول من دخل الأندلس من المسلمين من جهة البحر عبد الله بن نافع ابن عبدالقيس وعبدالله بن الحصين بن الفهريان زمن الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه[2].

وعند استعراض وقائع تاريخية خلال القرن الهجري الأول تتضح محاولات المسلمين المستمرة لفتح القسطنطينية لأن فتحها يعني سقوط الإمبراطورية البيزنطية وما تمثله من ضلال وشرك ومحاولات متواصلة لمحاربة الإسلام والمسلمين، ويذكر في هذا السياق أن القائد عقبة بن نافع الفهري كان يفكر في اجتياز المضيق إلى الأندلس لو استطاع، فقد قال عندما اقتحم فرسه في البحر المحيط: «اللهم اشهد، أني قد بلغت المجهود ولو لا هذا البحر لمضيت في البلاد أقاتل من كفر بك حتى لا يعبدُ أحد من دونك»[3]، وكان موسى بن نصير التابعي يفكر في غزو القسطنطينية، فقد قال: «أما والله لو انقادوا إليَّ لقدتهم إلى رومة، ثم يفتحها الله على يَدي إن شاء الله»[4]، وهذا تصريح له دلالة عميقة المغزى يبيّن إلى أي حد كان فتح الأندلس مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالفتوحات الإسلامية.

---

(١) تاريخ الأمم والملوك م ٣ جـ ٥ ص ٥٠ انظر الروض المعطار ص ٣٣.
والبيان المغرب جـ ٢ ص ٤ ونفح الطيب جـ ١ ص ٢٠٤ - ٢٠٥.

(٢) تاريخ الأمم والملوك م ٣ جـ ٥ ص ٥٠ انظر البيان المغرب جـ ٢ ص ٤ وابن كثير البداية والنهاية م ٤ جـ ٧ ص ١٥٢ ونفح الطيب جـ ١ ص ٢٠٤ - ٢٠٥.

(٣) المالكي رياض النفوس جـ ١ ص ٣٩ انظر الكامل في التاريخ جـ ٤ ص ١٠٦.

(٤) الإمامة والسياسة جـ ٢ ص ٦٦ انظر الاكتفاء في أخبار الخلفاء ص ٤٩ والبداية والنهاية م ٥ جـ ٩ ص ١٧٤ ١٨١ وابن منظور مختصر تاريخ دمشق جـ ٢٦ ص ٢٠ ونفح الطيب جـ ١ ص ٢٣٣.

البحرية الإسلامية:

وردت في رواية «فتح الأندلس» إشارتان عن إمداد يوليان للمسلمين بالسفن: ففي موضع تذكر الرواية أن يوليان وعد المسلمين بأن يؤمن لهم السفن(١)، وفي موضع آخر تشير إلى أن موسى بن نصير قد أعدّ حملة من خمسة آلاف مقاتل بقيادة طريف بن مالك حملتها أربع سفن من سفن يوليان(٢)، وبما أن الرواية لم تذكر شيئاً عن سفن المسلمين وقوتهم البحرية آنذاك فمن المرجح أن تنشأ فكرة أنهم لم يكونوا يمتلكون قوة بحرية(٣) فكان لابد من الاستعانة بسفن يوليان، وقد عزز هذه الفكرة دوره القوي والمؤثر في الفتح في أكثر من موضع(٤). ومما لا شك فيه أن المسلمين كانوا مهتمين بالتصدي لغارات الإمبراطورية البيزنطية على الشواطىء المطلة على البحر الأبيض المتوسط(٥)، ونتج عن هذا الاهتمام تحصين مدن السواحل والقلاع والمراقب(٦)، ثم عمدوا إلى إنشاء دور صناعة لبناء السفن في موانىء مثل الأسكندرية وتونس(٧)، فمكنهم هذا من غزو البحر(٨)، وقد اهتم الخليفة عبد الملك بن مروان بإيجاد قاعدة بحرية إسلامية في المغرب العربي(٩)، فأنشأ حسان بن النعمان قاعدة حربية عُرِفتْ بميناء تونس(١٠)، ثم أنشأ موسى بن نصير مائة سفينة حربية بدار الصناعة في تونس(١١)

---

(١) فتح الأندلس ج٢ ص٨ .

(٢) المرجع نفسه ج٢ ص١٢ .

(٣) انظر ما ذكر المستشرق دوزي عن هذا Spanich Islam P. 230 - 231

(٤) فتح الأندلس ج١ ص٦٢، و٦٣ وج٢ ص٨ و٩ و٣٧ و٤٢ و٥٤ و٥٨ .

(٥) السيد سالم تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط ص٤ .

(٦) تاريخ البحرية الإسلامية ص ١٧ انظر دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ص ٣ .
انظر دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ص٢ .

(٧) البلاذري فتوح البلدان ص ١١٧و١٢٨ انظر كتاب العبر ج١ ص ٢١٠-٢١١ والمقريزي المواعظ والاعتبار ج٢ ص ١٩٠ وتاريخ البحرية الإسلامية ص٢١ .

(٨) فتوح البلدان ص ١٥٢-١٥٣ انظر تاريخ الأمم والملوك م ٣ ج ٥ ص٥١-٥٣ و ٨٥ والمواعظ والاعتبار جـ٢ ص١٩٠ .

(٩) البكري المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ص ٣٨-٣٩ انظر كتاب العبر ج١ ص٢١١ والمواعظ والاعتبار ج١ ص٢١١ .

(١٠) المغرب في ذكر بلاد إفريقية ص ٣٨-٣٩ انظر كتاب العبر ج١ ص٢١١ .

(١١) الإمامة والسياسة ج٢ ص ٥٧ .

فصار الأسطول المغربي يحمل راية الإسلام غرب البحر الأبيض المتوسط، وقد تمكن المسلمون بقوتهم البحرية غرب البحر الأبيض المتوسط من شل حركة الأسطول البيزنطي فراحوا يضربونه في جزر البحر من خلال غزوات ناجحة شنوها علي صقلية وسردانية وكورسيكا وجزر البليار في السنوات ما بين ٨٥ إلى ٨٩ هـ[١]. وقد عمد موسى بن نصير إلى تحصين خطوطه وهو يعد العدة لفتح الأندلس، فوضع حراسة قوية على السواحل الغربية وكلف طارق بن زياد بهذه المهمة، فتوجه طارق إلى تلمسان[٢] وراح يرصد السفن البيزنطية ليستولي عليها ويأخذ من عليها من رجال للاستفادة من معلومات يمكن أن تستخدم في الفتح[٣].

مما تقدم نجد أن جهود المسلمين كانت منصبة على إيجاد قوة بحرية أثبتت أثرها خلال النصف الآخر من القرن الأول الهجري، وقد أسْهَمت تلك القوة ـ وخاصة المغربية منها ـ في تمكين المسلمين من بسط سيطرتهم على مناطق شاسعة في حوض البحر الأبيض المتوسط وقامت بدور مهم في فتح الأندلس.

حملة طريف :

ذكرت الرواية أن حملة طريف كانت تهدف إلى أن يتأكد موسى من ولاء يوليان فأعد حملة من خمسة آلاف مقاتل حملتها أربع من سفن يوليان إلى ثغور الأندلس الجنوبية فنزلوها بسهولة وغنموا من خيراتها وثمارها الكثير[٤]، وهنا تجدنا ملزمين بالوقوف عند عدة حقائق تاريخية :

أولاها : الغرض الحقيقي للحملة.

عندما كتب موسى بن نصير إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك يستأذنه في فتح

(١) المصدر نفسه ج٢ ص١١٢ و١٢٠ و١٢٤ و١٣٠ انظر الكامل في التاريخ ج٣ ص٥١ وج٤ ص١١٢ والبداية والنهاية م٥ ج٩ ص٨٢ ومختصر تاريخ دمشق ج٢٦ ص١٦ وكتاب العبر ج١ ص٢١٢ ودراسات في تاريخ الأندلس ص٨ و Lewis,A. Navla Power and Trade in the Mediterranean P. 65

(٢) تلمسان : أول بلاد المغرب، قاعدة المغرب الأوسط، هي مدينة قديمة فيها آثار كثيرة الخصب والرخاء (الروض المعطار ص١٣٥).

(٣) ابن حبيب كتاب التاريخ ص ١٣٦ أنظر عبد الواحد ذنون طه موسى بن نصير ص٦٦.

(٤) فتح الأندلس ج٢ ص١٢.

الأندلس، كتب إليه الخليفة : «أن خضها بالسرايا حتى تختبر ولا تغرر بالمسلمين في بحر شديد الأهوال»[1]، فردّ عليه موسى : «أنه ليس ببحر، وإنما هو خليج، يصف صفة ما خلفه للناظر»[2]، فكتب إليه الخليفة : «وإن كان، فاختبره بالسرايا»[3]، وهنا يتضح جانب مهم من جوانب الفتح يدل على التنظيم والإعداد والأخذ بالأسباب وحرص الخليفة على معرفة أخبار الفتح أولاً بأول واهتمام موسى بإبلاغ الخليفة بما يدور في المغرب استعداداً لمشروع خطير[4] ويظهر في رد الخليفة حرصه الشديد على أرواح المسلمين في أرض بعيدة لا عهد للمسلمين بها من قبل[5] فالراعي مسؤول عن رعيته، وقد أبدى الخليفة الفاروق رضي الله عنه موقفاً مماثلاً عندما صرح قائلاً : «وتالله لمسلم أحبّ إليّ مما حوت الروم»[6].

ثانيها : عدد أفراد الحملة :

أشارت الرواية ـ أيضاً ـ إلى أن الحملة قد تكونت من خمسة آلاف مقاتل حملتهم أربع سفن من سفن يوليان[7]، ولابد أن هذا العدد مبالغ فيه كثيراً خاصة أن أربع سفن لا يمكن أن تنقل هذا العدد الكبير من المقاتلين بعدتهم، ونجد في رواية ابن الكرديوس أنه قد اجتمع من البربر ثلاثة آلاف راجل عليهم طريف بن مالك[8]، وفي رواية الحميري كان في الحملة أربعمائة رجل[9]، في حين أن مؤرخين ذكروا أن العدد

(١) أخبار مجموعة ص ١٦ انظر الروض المعطار ص ٣٥ والكامل في التاريخ ج٤ ص٥٦١ والبيان المغرب ج٢ ص٦ .

(٢) أخبار مجموعة ص ١٦ انظر الروض المعطار ص ٣٥ والكامل في التاريخ ج٤ ص٥٦١ والبيان المغرب ج٢ ص٦ والبيان المغرب جـ٢ ص٦ .

(٣) أخبار مجموعة ص ١٦ انظر الروض المعطار ص٣٥ والكامل في التاريخ ج٤ ص٥٦١ والبيان المغرب ج٢ ص٦ .

(٤) طه موسى بن نصير ص ٩٨ .

(٥) التاريخ الأندلسي ص ٣٤و٥٥ وطه موسى بن نصير ص ٩٨ .

(٦) تاريخ الأمم والملوك م٣ ج٥ ص٥٢ .

(٧) فتح الأندلس ج٢ ص١٢ .

(٨) الاكتفاء في أخبار الخلفاء ص ٤٥ .

(٩) الروض المعطار ص ٣٥ انظر ضيا باشا الأندلس الذاهبة ج١ ص٤١ .

كان أربعمائة رجل ومائة فارس[1]، وهذا هو العدد المرجح عند بعض الباحثين[2] ويتناسب مع حملة استطلاعية ليس هدفها القتال وإنما استكشاف المنطقة ومعرفة أحوالها.

ثالثها : دور يوليان الحقيقي في الحملة :

ذكر في الرواية أن الهدف من الحملة التأكد من ولاء يوليان[3]، وتفيد الوقائع التاريخية في هذا الصدد أن موسى قد طلب من يوليان القيام بحملة استطلاعية إلى جنوب الأندلس، فقام بالمهمة وبيّن له عدم ولائه للوذريق، وذكر ابن الكردبوس هذه الحملة المتقدمة ورجوع يوليان إلى موسى وإعلامه بما كان من فعله[4] وكانت هذه قبل حملة طريف[5]، ومن جهة أخرى ذكر المقري نقلاً عن ابن حيان أن طريفا قام بالحملة بمعونة صاحب سبتة يوليان النصراني دون إشارة إلى السفن[6]، في حين أن عدة مصادر أخرى لم تشر إلى أمر يوليان عند إيراد أخبار الحملة[7]، وفي رواية زيدان الأصلية إشارة إلى الحملة وردت في الهامش[8] دون أي ذكر لمساعدة يوليان، ومن المرجّح أن من يذكر سفن يوليان في هذه الحملة يكون قد اعتمد على رواية سافدرا الذي صرح بأن يوليان قدم أربع سفن للحملة[9]، ويتوجب الحذر في التعامل مع هذه

---

(١) أخبار مجموعة ص ١٦ انظر الكامل في التاريخ ج٤ ص ٥٦١ والبيان المغرب ج٢ ص٥ ونفح الطيب ج١ ص٢٢٩ .

(٢) فجر الأندلس ص ٦٧ انظر التاريخ الأندلسي ص ٤٦ وإبراهيم أحمد العدوي موسى ابن نصير ص ٧٧ وطه موسى بن نصير ص ٩٩ وطارق بن زياد ص ٥١ وفي تاريخ المغرب والأندلس ص ٣٦٥ .

(٣) فتح الأندلس ج٢ ص١٢ .

(٤) الاكتفاء في أخبار الخلفاء ص ٤٦ انظر الروض المعطار ص ٣٥ .

(٥) الروض المعطار ص ٣٥ .

(٦) نفح الطيب ج١ ص ٢٢٩ .

(٧) انظر على سبيل المثال أخبار مجموعة ص١٦ والاكتفاء في أخبار الخلفاء ص ٤٥ والكامل في التاريخ ج٤ ص٥٦١ وابن الشباط صلة السمط وسمة المرط ص ١٠٣ والروض المعطار ص ٣٥ والبيان المغرب ج٢ ص٥ ونفح الطيب ج١ ص٢٢٩ .

(٨) زيدان فتح الأندلس ص ١٣٥ .

(٩) نقلا عن فجر الأندلس ص ٦٧ انظر طارق بن زياد ص ٥٢-٥٣ والعدوي موسى بن نصير ص ٧٧ .

الرواية، ولعل ورودها عند زيدان في الهامش إنما يؤكد إصراره على بيان دور النصارى في عملية الفتح، ومن المرجّح أن تكون المعونة التي قدمها يوليان للحملة كما ذكر المقرّي هي أن تنطلق من سبتة[1]، ولا شك أن تلك الحملة قد أعطت لموسى فكرة عن استعدادات القوط العسكرية[2]، فكان عليه أن يتابع خطوات المشروع بتأنٍ، وكانت الحملة في هذا الإطار خطوة مهمة لتحقيق الفتح[3]، وهذا ما لم تذكره الرواية

العبور إلى الأندلس .

أما فيما يتعلق بعبور المسلمين بقيادة طارق بن زياد المضيق إلى الأندلس فإن الرواية قد ذكرت في موضع متقدم أن يوليان قد وعد المسلمين بتوفير السفن وإمدادهم بالجند وإرشادهم إلى مواطن الضعف في مملكة القوط[4]، وقد يعني هذا أن عبور قوات المسلمين إلى الأندلس قد تم بسفن يوليان فقط، وأكدت الرواية على هذا عند الحديث عن حملة طريف[5]، وبناء على هذا ينبغي إلقاء الضوء على أمر العبور وحقيقة استعانتهم بسفن يوليان. وتذكر بعض المصادر في هذا الشأن أن يوليان قدّم مراكب لطارق وجنده، وعند الرجوع إليها نرى إلى أي حد استطاعت أخبارها أن تساعدنا في معرفة السرية والدقة والتخطيط في تنفيذ عملية العبور، والأهم من هذا كله أن تعطينا فكرة عن كون العبور جهداً إسلامياً خالصا [6]. ومن الأخبار الواردة بشأن العبور: «فلما أمسى (طارق) جاءه يليان بالمراكب، فحمله فيها إلى ذلك المجاز، فأكمن فيه نهاره، فلما أمسى رد المراكب إلى من بقي من أصحابه، فحملوا إليه حتى

(١) التاريخ الأندلسي ص ٤٥ انظر طارق بن زياد ص ٥٣ .

(٢) أخبار مجموعة ص ١٦-١٧ انظر البيان المغرب ج٢ ص٥ ونفح الطيب ج١ ص١٢٧ والعدوي موسى بن نصير ص٧٧ .

(٣) العدوي موسى بن نصير ص ٧٧ .

(٤) فتح الأندلس ج٢ ص ٨ .

(٥) المرجع نفسه ج٢ ص١٢ .

(٦) انظر على سبيل المثال : فتوح مصر والمغرب ص ٢٧٧ وصلة السمط ص ١٠٦ والروض المعطار ص ٣٥ والبيان المغرب ج٢ ص٦ ونفح الطيب ج١ ص٢٥٤ .

لم يبق منهم أحد، ولا يشعر بهم أهل الأندلس، ولا يظنون إلا أن المراكب تختلف بمثل ما كانت تختلف به من منافعهم»[1]، فعملية النقل لم تتم دفعة واحدة، بل كانت على دفعات حتى لا يشعر القوط بأمر العبور، فلا يظنون إلا أن المراكب التجارية تقوم بعملها بين الأندلس وسبتة التابعة لحكمهم. ويذكر ابن عبد الحكم أن طارقاً كان في آخر فوج ركب في حين تخلف يوليان ومن كان معه من التجار[2]، وهذا يُسهمُ في التحقق من أمر المراكب التي كانت تجارية، كما تدل عليه رواية ابن عبد الحكم ونجد عند ابن عذارى ما يؤكد على هذه الرواية فهو يذكر: «فكان يليان يحتمل أصحاب طارق في مراكب التجار التي تختلف إلى الأندلس، ولا يشعر أهل الأندلس بذلك، ويظنون أن المراكب تختلف بالتجار. فحمل الناس فوجاً بعد فوج»[3]، كما نجد عند المقرّي رواية تفيد أن يوليان أجاز المسلمين إلى ساحل الأندلس في مراكب التجار مْن حيث لم يعلم بهم أولاً بأول[4].

ويلاحظ من تلك الأخبار أن عملية العبور بدت وكأنها حركة تجارية طبيعية في المضيق، ومما زاد في تأكيد هذا الأمر أن يوليان بقي في الجزيرة الخضراء في الأندلس[5] «ليكون أطيب لأنفس أصحابه وأهل بلده»[6]، فلا يثير الريبة ويبدو كأنه يشرف على مراكب التجار من وإلى سبتة، فقد كان يوليان يختلف من الأندلس إلى بلاد البربر[7]، كما كانت المراكب عادة تختلف إلى سبتة من الأندلس بالمعاش والإمداد[8]، وإن الاستعانة بمراكب التجار التي من الممكن أن يكون يوليان قد قدّمها إلى طارق وجنده تزيل أية شكوك عند القوط وهم يراقبون الساحل الجنوبي فبدت الحركة طبيعية لا تثير

---

(١) فتوح مصر والمغرب ص ٢٧٧ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٧٧ .

(٣) البيان المغرب ج٢ ص٦ .

(٤) نفح الطيب ج١ ص٢٥٤ .

(٥) فتوح مصر والمغرب ص ٢٧٧ انظر البيان المغرب ج٢ ص٦ .

(٦) فتوح مصر والمغرب ص ٢٧٧ انظر البيان المغرب ج٢ ص٦ .

(٧) ابن القوطية تاريخ افتتاح الأندلس ص ٣٣ انظر نفح الطيب ج١ ص٢٥٠ .

(٨) أخبار مجموعة ص١٥ .

ريبة[1]، ومن الملاحظ في هذا الشأن أيضاً أن الإبحار قد تم من مدينة سبتة[2] التابعة للقوط حتى ذلك الوقت، ولم يتم من طنجة[3] عند طارق بن زياد لاحتمال أن تكون طنجة تحت مراقبة القوط بعد حملة طريف[4]، وقد تمكن المسلمون بفضل هذا التدبير من مفاجأة القوط مفاجأة قد أذهلتهم حتى أن تدمير (الحاكم في تلك المنطقة) كتب إلى الملك لوذريق: «أنـه وقع بأرضنا قوم لا ندري أمن السماء نزلوا أم من الأرض خرجوا»[5]، وهكذا تحقق عنصر المفاجأة بتخطيط حكيم.

أما أمر استعانة موسى بسفن يوليان فإن اتفاقه معه بشأنها لم يتم لعدم وجود سفن حربية عند المسلمين، فقد أمر موسى بصنع عدد منها[6]، فمن غيرالممكن أن يعتمد علي سفن ليست لجيشـه في مثـل هذا المشروع الكبـير[7]، ولكن استعانته بالسفن التجارية كان يدخل في باب الحرب خدعة فقد كان عليه أن يتم الأمر في سرية وكتمان وحذر، وهذا أمر جائز فقد روى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: «عن صفوان بن أمية: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعار منه يوم حنين أدراعا. فقال: أغصباً يا محمد؟ قال: بل عارية مضمونة»[8]. وقد استعارها الرسول صلى الله عليه وسلم من صفوان وهو يومئذ مشرك[9]، فلا يمكن أن يتهم موسى بمحالفته للكفار، وبما أنه قد

---

(١) طه موسى بن نصير ص ١٠٠ .

(٢) فتوح مصر والمغرب ص ٢٧٧ انظر الاكتفاء في أخبار الخلفاء ص ٤٦ وابن خلكان وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ج٥ ص٣٢٠ .

(٣) طنجة: بلد على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء (معجم البلدان ج٤ ص٤٣) .

(٤) طه موسى بن نصير ص ١٠٠ .

(٥) كتاب التاريخ ص ١٣٧ انظر الإمامة والسياسة ج٢ ص ٦٠ انظر وفيات الأعيان جـ٥ ص ٣٢١ ونفح الطيب جـ١ ص ٢٤٠ .

(٦) أخبار مجموعة ص ١٧ انظر الإمامة والسياسة ج ٢ ص ٥٧ والبيان المغرب ج ٢ ص ٥ ونفح الطيب ج ١ ص ٢٣٢ و٢٥٧ .

(٧) محمد عبد الحميد صقر الفتح الإسلامي للأندلس ص ١٠٩ انظر دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ص ١٨ والتاريخ الأندلسي ص٤٨ .

(٨) مسند أحمد ج٣ ص٤٠١ وج٦ ص٤٦٥ انظر صحيح سنن أبي داود كتاب الإجارة باب في تضمين العارية حديث رقم ٣٥٦٢ و٣٥٦٣ ج٢ ص٦٧٩-٦٨٠ .

(٩) ابن هشام السيرة النبوية ج٤ ص٨٣ انظر ابن سعد الطبقات الكبرى ج٢ ص١٥٠ وابن الأثير أسد الغابة في معرفة الصحابة ج٣ ص٢٢ .

أعد السفن[1] فإنه كان على استعداد لدعم قوة المسلمين في الأندلس فيما بعد ، فقد أرسل على جناح السرعة مدداً من خمسة آلاف مجاهد إلى طارق عندما طلب منه ذلك[2]، فما كان من الممكن إرسال هذا الدعم السريع بمراكب تجارية عادية مثل تلك التي حملت المسلمين أثناء رحلة العبور الأولى ليتحقق عنصر المفاجأة[3]، حيث كان الموقف يتطلب سرعة تنفيذ، فكان من الطبيعي أن يستخدم سفن أسطوله دون تكتم وقد غدا المضيق بين أيدي المسلمين يتحركون فيه بحرية وأمان، ولم يكن هناك مبرر لاستخدام السفن التجارية[4].

حرق طارق للسفن :

ورد في الرواية خبر حرق طارق للسفن من خلال خطبته : «لقد حرقت السفن التي حملتنا»[5]، والمعروف أن هذا الخبر لم يذكر إلا في مصادر متأخرة نسبياً[6] هي : «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» للإدريسي[7] و«الاكتفاء في أخبار الخلفاء» لابن الكردبوس[8] و«الروض المعطار في خبر الأقطار» للحميري[9]، ويلاحظ أن هذا الخبر قد ذكر في القرنين السادس والسابع الهجريين في حدود المصادر المتوافرة بين أيدي الباحثين أي بعد الفتح بأكثر من أربعة قرون[10]. وقد روى الأدريسي أن طارقاً أحس أن العرب لا تثق به فأمر بإحراق السفن حتى يزيح ذلك عنه[11]؛ أما رواية ابن

(١) نفح الطيب ج١ ص ٢٣٢ و٢٥٧ انظر أخبار مجموعة ص ١٧ والبيان المغرب ج٢ ص٥ والتاريخ الأندلسي ص٤٨ .

(٢) أخبار مجموعة ص ١٧ انظر الإمامة والسياسة ج٢ ص٦١ والكامل في التاريخ ج٤ ص ٥٦٢ ونفح الطيب ج١ ص٢٣٢ و٢٥٧ .

(٣) طه موسى بن نصير ص ١٠٠ .

(٤) المرجع نفسه ص ١٠٦ .

(٥) فتح الأندلس ج٢ ص٨ .

(٦) انظر على سبيل المثال : فجر الأندلس ص ٦٩ طارق بن زياد ص ٩١ .

(٧) الإدريسي نزهة المشتاق في اختراق الأفاق (القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس) ص ٢٦٣ .

(٨) الاكتفاء في أخبار الخلفاء ص٤٦ .

(٩) الروض المعطار ص ٢٢٤ .

(١٠) طه موسى بن نصير ص ١٠٢ .

(١١) نزهة المشتاق (القارة الإفريقية) ص ٢٦٢ .

الكردبوس فتفيد أن طارقاً حرق السفن حتى يشحذ همم المجاهدين[1] ويوقع الفزع في قلب لوذريق وجيشه[2]، ويفهم من رواية الحميري أن طارقاً أحس بأن المسلمين العرب لا يثقون به فأحرق السفن حتى يحول دون انسحاب الجيش إلى المغرب[3].

وقد مال بعض الباحثين إلى إنكار الرواية[4] لأن العمل يتنافى مع مبدأ حربي يتعلق بحماية ظهور المقاتلين[5]، وكان يترتب على هذا العمل عزل الحملة الإسلامية وقطع سبل اتصالها بالقيادة المركزية، فإن من بدهيات الحروب أن يعمل القادة على المحافظة على سلامة خطوط مواصلاتهم مع مركز الإمدادات والتموين[6]، وكان طارق حريصاً علي دعم وسائل اتصاله بموسى في القيروان وإبلاغه خطوة خطوة بتفاصيل الموقف الحربي، وقد أثبتت مجريات الحوادث هذا[7]، فقد ورد في السابق أن طارقاً طلب من موسى » إمدادات على عجل إثر تحرك لوذريق بجيش جرار قوامه سبعين ألف جندي مع عدتهم، وفي رواية مائة ألف جندي[8]، فإن قيل إن طارقاً أراد أن يحول بين المسلمين وبين رجوعهم إلى المغرب فقام بإحراق السفن، فإنهم وقد خرجوا لإعلاء كلمة الحق ما كانوا ليفكروا بالعودة أو التراجع أو الهروب[9]، وطبيعي أن هذا لا يتعارض مع مبدأ اتصالهم بالقيادة المركزية وأهمية وجود قناة اتصال دائم بين الجانبين.

---

(١) الاكتفاء في أخبار الخلفاء ص ٤٦-٤٧ انظر دراسات في تاريخ المغرب ص ٢٤ .

(٢) الاكتفاء في أخبار الخلفاء ص ٤٨ .

(٣) الروض المعطار ص ٢٢٤ انظر دراسات في تاريخ المغرب ص ٢٤ .

(٤) انظر على سبيل المثال العدوي موسى بن نصير ص ٨١ وفجر الأندلس ص ٦٩ والتاريخ الأندلسي ص ٦٢ وطه موسى بن نصير ص١٠١-١٠٢ وطارق بن زياد ص٩١ .

(٥) طه موسى بن نصير ص ١٠٢ .

(٦) العدوي موسى بن نصير ص ٨١ انظر طه موسى بن نصير ص١٠٢ وطارق بن زياد ص٩٢ .

(٧) العدوي موسى بن نصير ص٨١ انظر طه موسى بن نصير ص١٠٢ .

(٨)، أخبار مجموعة ص ١٧ أنظر الإمامة والسياسة ج٢ ص٦١ والاكتفاء في أخبار الخلفاء ص٤٧ والكامل في التاريخ ج٤ ص٥٦٢ ونفح الطيب ج١ ص٢٣١-٢٣٢ و٢٥٧ .

(٩) التاريخ الأندلسي ص ٦٢ انظر طارق بن زياد ص ٩٢ .

خطبة طارق :

اختار الإعداد مقتطفات من خطبة طارق[1] التي أوردها زيدان كاملة في الرواية الأصلية[2] كما رواها المقّري[3] نقلاً عن ابن خلكان[4]، ومما يذكر في هذا الشأن أنه قد وردت في كتاب «الإمامة والسياسة»[5] خطبة منسوبة لطارق أقصر مما وردت عند ابن خلكان وقليلة الشبه بها[6]، كذلك اعتبر أقدم نص فيه إشارة إلى الخطبة نص مؤرخ الأندلس عبد الملك بن حبيب[7] في حدود ما توصل إليه الباحثون ولم تذكر فيه الخطبة المطولة التي جاء بها المقّري[8]، وباستثناء نص المؤرخ ابن حبيب فإن المصادر الأندلسية لاسيما المتقدمة منها لم تذكر هذه الخطبة[9]، وبالرجوع إليها تتضح فيها معانٍ تتنافى مع روح الإسلام وتتعارض مع ما يمكن لمجاهد من طراز طارق أن ينطق به[10]، فمن ذلك ما نسب إلى طارق قوله: «ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون أموركم إليه»[11]، فهذا يدخل في باب تزكية النفس كما أنه لا ينسجم مع أسلوب قائد يواجه أمراً عظيم الشأن ولا يتفق مع أسلوب الفتح[12]، أما قوله: «واكتفوا من فتح هذه الجزيرة بقتله (قتل لوذريق) فإنهم بعده مخذولون»[13] فإنه يتعارض مع حقيقة الجهاد والخطط العسكرية ودقتها التنظيمية ومتطلباتها الفنية وضرورة تنفيذها[14]، وإن قتل

---

(١) فتح الأندلس ج٢ ص ٨٤-٨٥ .

(٢) زيدان فتح الأندلس ص ٢١٣-٢١٤ .

(٣) نفح الطيب ج١ ص ٢٤٠ - ٢٤١ .

(٤) وفيات الأعيان ج٥ ص ٣٢١-٣٢٢ انظر طارق بن زياد ص ٨٥ .

(٥) الإمامة والسياسة ج٢ ص٦١ .

(٦) التاريخ الأندلسي ص ٦٠ انظر طارق بن زياد ص ٨٥ .

(٧) كتاب التاريخ ص ١٣٨ انظر طارق بن زياد ص ٨٣ .

(٨) طارق بن زياد ص ٨٣ .

(٩) التاريخ الأندلسي ص ٦٠ انظر طارق بن زياد ص ٨٣ .

(١٠) التاريخ الأندلسي ص ٦٠.

(١١) فتح الأندلس ج٢ ص ٨٥ .

(١٢) التاريخ الأنلسي ص ٦١ .

(١٣) فتح الأندلس ج٢ ص ٨٥ .

(١٤) التاريخ الأندلسي ص ٦١ انظر بن زياد ص ٨٦-٨٧ .

لوذريق لا يعني بأية حال هزيمة القوط، إذ لابد من قتالهم حتى يستسلموا أو يقتلوا.

وعندما قال طارق لجنده: «ولقد أحرقت السفن التي حملتنا إلى هنا حتى تيأسوا من التراجع»[1] فإن هذا مؤشر إلى جنود لا يقاتلون بالعقيدة ويمكن أن ييأسوا فيتراجعوا، وهذا - أيضاً - يخالف حرص الإسلام على أرواح المسلمين خاصة وأرواح الناس عامة، فهل يعقل أن يدفع طارق المسلمين إلى مواجهة الأعداء دون أن يحتاط ويحذر ويأخذ بالأسباب ويبقى على اتصال مع موسى في المغرب العربي؟ إن هذا يجانب الخطط العسكرية ومقوماتها[2]، فإن مواجهة القوط في بلاد لا يعرف المسلمون عنها الكثير كان يتطلب حذراً وحرصاً، وقد أثبتت مجريات المعركة فيها بعد أن طارقاً كان في حاجة ماسة إلى الاتصال بالقيادة العليا، فقد طلب من موسى إمدادات على عجل[3].

وعلى صعيد الأسلوب فإن الخطبة وما فيها من سجع لا تتماشى مع أسلوب العصر، ومن غير المتوقع لقائد جيش أن يعتني بهذا النوع من الصياغة[4]، ثم إن طارقاً وأكثر الجيش كانوا من البربر فمعرفتهم بالعربية قليلة فكان من المناسب أن يخاطبهم بلغتهم، وكان من المتوقع أن تحتوي الخطبة على آيات من القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم[5]، كما أن عدم ورودها في أي مصدر أندلسي متقدم[6] - باستثناء نص ابن حبيب المقتضب[7] - وورود مصطلحات لا تستخدم إلا في المشرق[8] تؤكد أنها وضعت على لسانه[9]، وهذا كله لا يمنع أن يكون طارق حسن[10]

(١) فتح الأندلس ج٢ ص ٨٥.

(٢) التاريخ الأندلسي ص ٦١.

(٣) أخبار مجموعة ص ١٧ انظر الإمامة والسياسة ج٢ ص ٦١ ونفح الطيب ج١ ص ٢٣١-٢٣٢ و٢٥٧.

(٤) التاريخ الأندلسي ص ٦٠ انظر طارق بن زياد ص ٨٦.

(٥) التاريخ الأندلسي ص ٦١ انظر طارق بن زياد ص ٨٦.

(٦) التاريخ الأندلسي ص ٦٠-٦١ انظر طارق بن زياد ص ٨٦.

(٧) التاريخ الأندلسي ص ٦٠ انظر طارق بن زياد ص ٨٢.

(٨) كتاب التاريخ ص١٣٨.

(٩) التاريخ الأندلسي ص٦٠.

(١٠) طارق بن زياد ص ٨٧ ونفح الطيب ج ١ ص ٢٣١.

الكلام قد خطب في الجند بحثهم على الجهاد[1].

مجريات المعركة :

خصصت الرواية باباً بعنوان «الحرب»[2] عن سير المعركة الفاصلة بين المسلمين والقوط وصفت فيه الملك لوذريق وملابسه ومظاهر العظمة التي أحاط نفسه بها[3]، وأشارت إلى أنه لم يخرج إلى الحرب إلا كملك على عرشه وليس فارساً في ساحة الحرب وأن حربه هذه ما هي إلا نزهة حربية ستدعم مركزه وتقوي حكمه وسيعود إلى طليطلة عودة المنتصر[4]، وعندما دارت المعركة بين الطرفين ذكر إنه لم يكن يعد نفسه لمعركة يستعمل فيها سيفه وقد كان يظن أنه في نزهة، فكانت حركاته بطيئة وضرباته ضعيفة فسيفه سيف زينة وليس سيف قتال فاكتفى بالدفاع عن نفسه[5]، ويؤخذ على هذا الوصف أنه تبسيط ساذج واستهانة بقوة لوذريق والقوط يؤدي إلى فكرة أن انتصار المسلمين كان سهلاً ميسوراً[6]، ولم يكن الأمر كذلك فمنذ أول نزول لطارق وجنده إلى الأندلس لقوا مقاومة عنيفة من القوط مما اضطرهم إلى تغيير مكان النزول[7]، كما أن روايات تذكر أن لوذريق كان شجاعاً هجوماً[8] جباراً طاغية[9].

أما أمر المعركة فقد ورد عنها في الرواية ما يلي: «لم تغرب شمس ذلك اليوم العظيم حتى خلا المعسكر من القوط إلا من وقع قتيلاً، أو أخذ أسيراً. . فقد استسلم جند

---

(١) التاريخ الأندلسي ص٦١ .

(٢) فتح الأندلس ج٢ ص٨٢-٩٠ .

(٣) المرجع نفسه ج٢ ص٨٢-٨٣ .

(٤) المرجع نفسه ج٢ ص٨٣ .

(٥) المرجع نفسه ج٢ ص٨٩ .

(٦) انظر على سبيل المثال Andalus P. 21, Spanish Islam p. 233 The Moors in Spain p. 24

(٧) الاكتفاء في أخبار الخلفاء ص ١٢ و٤٦ انظر البيان المغرب ج٢ ص٩ والتاريخ الأندلسي ص٥١ وطه موسى بن نصير ص١٠١

(٨) أخبار مجموعة ص١٥ انظر صلة السمط ص١٠٣ ونفح الطيب ج١ ص٢٥٠ والتاريخ الأندلسي ص٣٥ .

(٩) البيان المغرب ج٢ ص٩ .

القوط»[1]، فمن المؤكد أن يفهم القارىء أنها لم تستمر سوى يوماً واحداً، علماً بأن هناك روايات تفيد أنها استمرت ثمانية أيام[2]، فقد روى ابن الشباط: «فاقتتل المسلمون والمشركون ثمانية أيام قتالاً شديداً، وصبر الفريقان جميعاً صبراً عظيماً، ثم أنزل الله عز وجل نصره على المسلمين»[3]، واستمرار المعركة ثمانية أيام في قتال شديد دليل قوي على قوة القوط وشدة قتالهم وعزيمة مقاومتهم[4]، فإذا كانت الرواية قد ركزت بصورة عامة على سوء الأحوال في الأندلس وبينت أن صفوف جيش القوط غير متماسكة بسبب ضعف لوذريق وسوء تدبيره واستهانته بقوة المسلمين، فما ذلك إلا للانتقاص من قوة الجيش الإسلامي ومن أهمية متانة بنائه وقوة منطلقه العقدي، فلولا العقيدة ما كان لهم أن يغلبوا جيش القوط الذي يتفوق بالجانب المادي، خاصة أنهم كانوا يقاتلون في أرض شاقة[5].

وكان على الرواية أن تذكر أن المعركة قد جرت في شهر رمضان، وهذا أمر له دلالة في عقيدة المسلمين يذّكر بمعارك جاهد فيها المسلمون وانتصروا بعون الله في ذلك الشهر الفضيل مثل معارك بدر وفتح مكة وعين جالوت، وبدل أن يظهر الإعداد شكر المسلمين لله بالنصر ورفع راية الإسلام وإزالة راية الكفر في ديار الأندلس، بدل ذلك ذكر أمر الغنائم وما فعله طارق في توزيعها[6].

دور العناصر النصرانية في الفتح :

يوليـــان :

بالغت الرواية في إظهار حجم يوليان ودوره في الفتح، فقد بينت في موضعين وقوفه

---

(١) فتح الأندلس ج٢ ص٩١ .

(٢) الكامل في التاريخ ج٤ ص٥٦٣ انظر صلة السمط ص١٠٧ والبيان المغرب ج٢ ص٨ ونفح الطيب ج١ ص٢٥٩ والتاريخ الأندلسي ص٥٤ .

(٣) صلة السمط ص ١٠٧ .

(٤) التاريخ الأندلسي ص ٥٤ .

(٥) المرجع نفسه ص ٥٤ .

(٦) فتح الأندلس ج٢ ص ٩١-٩٢ .

صامداً أمام موسى[1] كما أظهرت حرصه على أن يبقي سبتة صامدة أمام المسلمين حتى تظل في يد لوذريق[2]، وتعطي لسليمان اليهودي دور المقنع والموجه ليقوم يوليان بتسليم سبتة والانضمام إلى المسلمين[3]، كما تشير إلى أن انضمام يوليان إليهم قد ساعدهم في فتح البلاد[4]، فقد وعد بأنه سيمدهم بالجند[5] وسينقض على لوذريق بجند من المسلمين[6] وقد عسكر معهم استعداداً لملاقاة القوط[7] كما مهد لهم الطريق إلى الأندلس وأرشدهم إلى السبل الموصلة إلى مدنها[8]، وقد بينت الرواية أن همّه هو الانتقام من لوذريق بسبب محاولة اعتدائه على ابنته فلورندا[9].

فما حقيقة يوليان ودوره في الفتح؟ يرجّح أن يكون يوليان في الأصل حاكماً بيزنطياً عاماً بطنجة وسبتة فقد كان إقليمهم طنجة آنذاك تابعاً للإمبراطورية البيزنطية وليس للأندلس القوطية[10]، ونظراً لبعد المسافة بين عاصمة بيزنطة وإقليم طنجة فقد اضطر إلى التعاون مع القوط[11]، فاعتبر حاكماً على إقليم طنجة من قبل لوذريق[12]، ويبدو أنه

---

(١) المرجع نفسه ج١ ص ٦٠ وج٢ ص١١ وقد ذكر سانشين البورتون أن موسى بن نصير اكتشف أن قوة يوليان وخبرة رجاله الحربية تفوق كل ماقابله في حياته .

Sanchez- Albornoz, C. L'Espagne Musulmans p. 10.

(٢) فتح الأندلس ج١ ص٦١ .

(٣) المرجع نفسه ج١ ص٦٢ و جـ٢ ص٩ .

(٤) المرجع نفسه ج١ ص٦٣ .

(٥) المرجع نفسه ج ٢ ص٨ .

(٦) المرجع نفسه ج٢ ص٢٧ و٥٤ .

(٧) المرجع نفسه ج٢ ص٥٨ .

(٨) المرجع نفسه ج٢ ص٤٢ .

(٩) المرجع نفسه ج٢ ص٣٦-٣٧ .

(١٠) أخبار مجموعة ص١٥ انظر الاكتفاء في أخبار الخلفاء ص٤٢ والكامل في التاريخ ج٤ ص٨٩ و١٠٥ وكتاب العبر ج٤ ص١٨٥ وفجر الأندلس ص٥٤ والعدوي موسى بن نصير ص٦٦ وطه موسى بن نصير ص ٦٠ .

(١١) أخبار مجموعة ص١٥ انظر فتوح مصر والمغرب ص٢٧٦-٢٧٧ وصلة السمط ص١٠٥ وفجر الأندلس ص٥٤ والعدوي موسى بن نصير ص٦٦ .

(١٢) الاكتفاء في أخبار الخلفاء ص٤٢ و٤٣ انظر الكامل في التاريخ ج٤ ص٥٦١ وصلة السمط ص١٠٥ والروض المعطار ص٣٤ ونفح الطيب ج١ ص٢٣٢ وفجر الأندلس ص٥٤ وطه موسى بن نصير ص٦٠ .

كان داهية شجاعاً[1] يدرك أن مشاكل القوط الداخلية في الأندلس تمنعهم من الاستمرار في مساعدته فاتبع سياسة حسن الجوار مع جيرانه من قبائل البربر[2]، وهناك رواية متأخرة عند ابن الأثير تفيد أن يوليان، أو أباه، قد حاول الارتباط بالمسلمين بعلاقات وصداقة عندما كان عقبة بن نافع يتولى أمر المغرب العربي[3] قبل مجيء موسى بن نصير، فراسل يوليان، أو أبوه، عقبة وقدم إليه الهدايا وسأله المسالمة[4].

ولابد أن يوليان قد شعر بقوة المسلمين، خاصة عندما تغلب موسى على مدينة طنجة وفتحها ولم تكن قد فتحت من قبل[5]، ورغم مقاومة سبتة أمام هجمات موسى[6]، فقد أحس بأنها لن تصمد طويلاً أمام قوة المسلمين فأنهم سيفتحونها عاجلاً أم آجلاً، فحاول أن يتقربَ إليهم ويساعدهم[7]، ويذكر ابن خلدون أن موسى قد استنزل يوليان لطاعة الإسلام[8]، كما يروي الحميري أن موسى قد «(عاقد) يوليان على الانحراف إلى المسلمين وسامه[9] مكاشفة أهل ملته من أهل الأندلس»[10]، ويمكن أن نستنتج من هذا أن يوليان قد أسقط في يده وعرف ألا حول له ولا قوة نظراً لإحاطة المسلمين بسبته، ولا شك أن موسى كان يقدّر قيمة سبتة وأهميتها في مجال فتح الأندلس، ومع ذلك فإنه أرجأ السيطرة عليها إلى حين، وقد ثبت حسن تدبيره وخبرته ومهارته العسكرية وصدق فِراسته[11] عندما انطلقت حملة طريف من سبتة

(١) نفح الطيب ج١ ص٢٣٠ .

(٢) فجر الأندلس ص٥٤ وطه موسى بن نصير ص٦١ .

(٣) العدوي موسى بن نصير ص٦٧ وطه موسى بن نصير ص٦١ والفتح الإسلامي للأندلس ص١٠١ .

(٤) الكامل في التاريخ ج٤ ص١٠٦ انظر طه موسى بن نصير ص٣٤ .

(٥) نفح الطيب ج١ ص٢٣٠ .

(٦) المصدر نفسه ج١ ص٢٣٠ انظر طه موسى بن نصير ص٦٢ .

(٧) أخبار مجموعة ص١٦ انظر فتوح مصر والمغرب ص٢٧٧ والاكتفاء في أخبار الخلفاء ص٤٤ والكامل في التاريخ ج٤ ص٥٦١ وصلة السمط ص١٠٥-١٠٦ والروض المعطار ص٣٤ و٣٥ والبيان المغرب ج٢ ص٤ و٦ ونفح الطيب ج١ ص٢٣٠ .

(٨) كتاب العبر جـ ٤ ص ١٧٧ انظر نفح الطيب جـ ١ ص ٢٣٢ و٢٥٣ .

(٩) سام فلانسا الأمر : كلّفه إياه أو أولاه إياه (القاموس المحيط ص ١٤٥٢).

(١٠) الروض المعطار ص٣٥ انظر نفح الطيب ج١ ص٢٥٣ .

(١١) الاكتفاء في أخبار الخلفاء ص٤٥ .

وعندما عبر جيش المسلمين بقيادة طارق بن زياد المضيق إلى الأندلس، ومن جهة أخرى يذكر أن يوليان قد بعث إلى موسى بالطاعة[1] وعاقده على الانحراف إلى المسلمين[2]، وفي هذا رد على إدعاء الرواية أن موسى وقف عاجزاً أمامه.

ومن المتوجب إلقاء مزيد من الضوء على علاقة المسلمين بيوليان في البداية، فيروي ابن الكردبوس في هذا الشأن: «لما اجتمع (يوليان) صاحب طنجة مع موسى . . (قال موسى) للنصراني: إننا لا نشك في قولك ولا نهاب، غير أننا نخاف على المسلمين من بلاد لا يعرفونها وبيننا وبينها البحر وبينك وبين ملكك حمية الجاهلية واتفاق الدين ولكن ارجع إلى مكانك واجمع جندك ومن يقول بقولك، وميز إليه بنفسك وشن الغارة على بلاده واقطع ما بينك وبينه»[3]، وهذا يوضح موقف موسى بن نصير الحذر من يوليان وحرصه على أن يثبت حسن موقفه من المسلمين، على عكس ما ذكرت الرواية، وبالفعل فقد قام بشن غارات على ساحل الجزيرة الخضراء[4]، وقد شاع الخبر عند المسلمين فآنسوا به[5] وهناك رواية عند ابن الحكم تبين حذرهم في التعامل معه، فعندما راسله طارق قال له : «لا اطمئن عليك حتى تبعث لي برهينة»[6]، وهناك أمر على جانب كبير من الأهمية يتصل بحذر المسلمين وحرصهم في تعاملهم معه، فإنهم لم يتركوه يغيب عن أعينهم فقد بقي تحت مراقبتهم يدلهم على عورات القوط[7]، ومن جهته فإنه كان يدرك أنه لايمكنه الغدر بهم وهو يعرف أنهم لن يتركوه هادئاً مطمئناً في سبتة[8]، وقد كان يعرف قوتهم وعزيمتهم وعقيدتهم التي تدفعهم إلى الجهاد.

---

(١) أخبار مجموعة ص١٦ انظر الكامل في التاريخ ج٤ ص٥٦١ .

(٢) المراكشى المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص ٦ انظر الروض المعطار ص ٣٥ ونفح الطيب ج١ ص٢٣٢ و٢٥٣ .

(٣) الاكتفاء في أخبار الخلفاء ص٤٤-٤٥ .

(٤) المصدر نفسه ص ٤٥-٤٦ انظر الروض المعطار ص٣٥ ونفح الطب ج١ ص٢٥٣ .

(٥) الروض المعطار ص٣٥ .

(٦) فتوح مصر والمغرب ص٢٧٧ .

(٧) أخبار مجموعة ص١٧ انظر الكامل في التاريخ ج٤ ص٥٦٢ والبيان المغرب ج٢ ص٦ ونفح الطيب ج١ ص٢٣٠ و٢٣٢ .

(٨) أخبار مجموعة ص١٥ انظر فجر الأندلس ص٦١ .

أما ما زعمت الرواية من أن حملة طريف قد تمت بمعونة يوليان النصراني[1] فقد تم بسطه في صفحات سابقة، وأما دوره في عبور طارق والمسلمين المضيق فلم يتجاوز تقديم مراكب تجارية قليلة تحركت من سبتة حتى يخدع القوط[2] وما فعله جملة لم يكن يؤثر على جهاد المسلمين أو يقلل من انتصارهم في تلك المعركة التي قادوها وخططوا لها بأنفسهم ولم يكن دور يليان أكثر من دور ثانوي على الرغم من محاولة الرواية إبرازه وتضخيمه خلافاً لما تؤكده الروايات التاريخية المعاصرة.

آل غيطشة :

أظهرت الرواية أن وقوف آل غيطشة ممثلين بألفونس إلى جانب المسلمين كان مميزاً أثناء المعركة: «وبينما الجميع مشغول بالحرب إذ بقائد جند الميسرة الفونس الذي لم يعط بعد إشارة التحرك للمعركة يقف وسط جنده صائحاً: أيها الجند.. أنا لن أحارب مع ملك القوط الطاغية، وسأنضم لجند العرب»[3]، ولم تقف الرواية عند هذا الحد بل عمدت إلى إظهار رد فعل المسلمين إزاء مشاركة الفونس وجنده المزعومة: «(زادت حماسة) العرب عندما شاهدوا ميسرة القوط تنضم إليهم فترجح كفتهم، فأخذوا يهللون ويكبرون.. وانطلق طارق يصيح: لقد أعز الله جنده بما انضم إليهم من جند القوط.. هيا يا رجال إنه النصر»[4]، ويلاحظ أن المصادر الغربية راحت تتهافت حول إكساب اتصال آل غيطشة بموسى وطارق أهمية كبيرة في تاريخ الفتح مثلما فعلت مع يوليان ودوره[5].

ومما يروي ابن القوطية أن أبناء غيطشة قد انحازوا بمن معهم إلى طارق فكانوا

---

(١) فتح الأندلس ج٢ ص١٢.

(٢) فتوح مصر والمغرب ص٢٧٧ انظر الروض المعطار ص٣٥ والبيان المغرب ج٢ ص٦ ونفح الطيب ج١ ص٢٥٤. ماأورده سافدرا نقلا عن مصادر قشتالية أن طارقا قد عهد إليه وإلى رجاله بحراسة مواقع وحمايتها من كل هجوم مباغت (نقلا عن فجر الأندلس ص٦٩ انظر طارق بن زياد ص٦٨) وهذا خبر لايمكن الجزم بصحته.

(٣) فتح الأندلس جـ ٢ ص ٨٦.

(٤) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٨٧.

(٥) طارق بن زياد ص ٣٤.

سبب الفتح[1]، وقد يفهم من الرواية هذه أن أبناء غيطشة ومن معهم قد اشتركوا مع جند المسلمين كما ادعت الرواية[2]، ومن المهم التعامل معها بحذر شديد قد يقود إلى التشكيك بها، فلا يمكن اعتماد أخبار هذا المؤرخ فيما يسوق عن مساعدات القوط للمسلمين بسبب أن هذه الأخبار قد تتفق مع ميله إلى القوط[3] إذ أنه ينسب إلى القوط الغربيين من ناحية أمه[4]، فمن الجائز أنه يحاول أن يسبغ على الفتح الإسلامي هالة عن قدرة العنصر القوطي الذي كان سبباً قوياً للفتح[5]، وقد اندفع جمهرة من المؤرخين الغربيين يؤكدون على أخبار ابن القوطية هذه لغايات في أنفسهم لاتخفي منها التقليل من قدرة المجاهدين المسلمين[6] وإبراز فكرة أن النصارى شاركوا المسلمين في الفتح، وتلقي رواية ابن الأثير ضوءاً على الموضوع فقد ذكر جانباً من مجريات المعركة الفاصلة وما كان من أمر ولدي غيطشة وغيرهما من أبناء الملوك مع الملك لوذريق: «وكان على (ميمنة الملك لوذريق) وميسرته ولدا الملك الذي كان قبله وغيرهما من أبناء الملوك، واتفقوا على الهزيمة بغضاً (للوذريق)، وقالوا: إن المسلمين إذا امتلأت أيديهم من الغنيمة عادوا إلى بلادهم وبقي الملك لنا. فانهزموا وهزم الله (لوذريق) ومن معه»[7]، ويورد المقّري عن ابن حيّان رواية مشابهة[8]، ويتبين من هذا أن غرض أبناء غيطشة هو استرجاع الملك بعد هزيمة لوذريق وقد أعلنوا عن رغبتهم في أن يرد المسلمون إليهم ضياعهم، فقد روت بعض المصادر أن أبناء غيطشة قد اتصلوا بطارق يسألونه الأمان على أن يعيد لهم ضياعهم المغتصبة في الأندلس[9].

---

(١) تاريخ افتتاح الأندلس ص ٣٠.

(٢) فتح الأندلس جـ ٢ ص ٨٦ ـ ٨٧.

(٣) طارق بن زياد ص ٣٨ انظر فجر الأندلس ص ٥٦.

(٤) وفيات الأعيان جـ ٤ ص ٣٧٠.

(٥) طارق بن زياد ص ٣٨.

(٦) المرجع نفسه ص ٣٨ ـ ٣٩، ويذهب المؤرخ سباستيان إلى القول إن أولاد غيطشة عبروا إلى إفريقية وذهبوا يستعدُون العرب على الأندلس ويزينون لهم فتحها (نقلاً عن فجر الأندلس ص ٥٥)، ولم يكن المسلمون يقاتلون من أجل جماعة أو فئة وخاصة إذا كانت تلك الجماعة من غير المؤمنين (الفتح الإسلامي للأندلس ص ١٠٥).

(٧) الكامل في التاريخ جـ ٤ ص ٥٦٣.

(٨) نفح الطيب جـ ١ ص ٢٣٢ و٢٥٧ انظر أخبار مجموعة ص ١٨.

(٩) أخبار مجموعة ص ١٨ وتاريخ افتتاح الأندلس ص ٣٠ والكامل في التاريخ جـ ٤ ص ٥٦٣ وصلة المسمط ص =

أما أمر الاتفاق على الهزيمة كما جاء في بعض المصادر[1] فإن هذا لايعني أن أبناء غيطشة ومن معهم من الجند القوط قد قاتلو إلى جانب المسلمين، ولم ترد أخبار موثوقة صريحة بهذا، كما أن عدداً من المصادر العربية يؤكد على أن المسلمين قد قاتلوا المشركين قتالاً شديداً[2]، وكانت مشيئة الحق أن ينسحب قسم من جنود القوط وعلى رأسهم أبناء غيطشة هزيمة للوذريق، فقد تهيأت الأسباب للمسلمين، دون أن ننسى أن المعركة بينهم وبين قوى الشرك قد استغرقت ثمانية أيام قاتل فيها الطرفان قتالاً شديداً.

وفي جميع الأحوال فإن أهداف أبناء غيطشة لا تعدو كونها مطالب دنيوية تختلف اختلافاً جوهرياً عن أهداف المسلمين في الجهاد، فلا يمكن للمسلين أن يركنوا إلى هؤلاء أو يثقوا بهم ويعطوهم الفرصة في الدخول ضمن الجيش الإسلامي النظامي ويكفي منهم كفّ شرهم واتخاذهم جانب الحياد وهذا ما يمكن استنتاجه من الروايات التاريخية أو على أكثر تقدير تركهم يجربوا حظهم بمفردهم وبإمكاناتهم المتاحة ضد لذريق لرد اعتبارهم واستعادة مجدهم، وهذه السياسة نلمسها من موقف موسى من طلب يليان بإرسال قوات معه إلى أسبانيا كما سبقت الإشارة إلى ذلك ص ٦٧ حيث وجه موسى يليان إلى إثبات صدق نواياه بمهاجمة لذريق بمن معه وقطع ما بينه وبينه من صلات.

والمصادر التاريخية على اختلافها لم توضح لنا أن هؤلاء قد حاربوا مع المسلمين بقدر ما يشير عدد منها إلى خذلهم للذريق بالانسحاب من جيشه ومع ذلك يلحظ المتتبع لسير المعركة عدم تأثير انسحابهم إذا كان قد تم فعلاً - على المعركة لأنها استمرت ثمانية أيام ولم يحسمها المسلمون إلا بعد أن قدموا حوالي ٢٥٪ من جيشهم شهداء فيها.

= ١٠٧ والروض المعطار ص ٣٥ ونفح الطيب جـ ١ ص ٢٣٢و ٢٥٩.

(١) تاريخ افتتاح الأندلس ص ٣٠ والكامل في التاريخ جـ٤ ص٥٦٣ ونفح الطيب جـ ١ ص ٢٣٢ و٢٥٨ - ٢٥٩.

(٢) انظر على سبيل المثال: أخبار مجموعة ص ١٨ وصلة السمط ص ١٠٧ والكامل في التاريخ جـ ٤ ص ٥٦٣ والبيان المغرب جـ ٢ ص ٨ و ٩ وكتاب العبر جـ٤ ص ١١٧ ونفح الطيب جـ١ ص ٣٢٣ و٢٥٨.

وحينما نعود إلى رواية «فتح الأندلس» تتضح لنا أهداف الفونس ويوليان من الانضمام المزعوم إلى المسلمين، وقد شاء الحق أن تتكشف تلك الأهداف دون أن يدري المؤلف والمعد، فإن أهداف ألفونس ويوليان هي الانتقام واسترجاع العرش والضياع، وهذا كله لا يدخل ضمن أهداف المسلمين ولا في خطتهم، فما كان انتصار المسلمين في الأندلس إلا بالعقيدة فقد نصروا الحق فنصرهم، وهكذا يتبين بطلان إدعاء الرواية.

ومن المفيد أن نذكر أن أبناء غيطشة قد تقدموا إلى المسلمين بعد الفتح يطالبون بشيء من ضياع أبيهم فأعطوهم جزءاً كبيراً منها لودّهم، وقد أحسنوا بذلك صنعاً فإن أبناء غيطشة أصبحوا منذ ذلك الحين من أخلص أنصارهم، وقد أسلم بعضهم وحسن إسلامهم[1].

العرب والبربر :

من الأمور الغريبة في رواية «فتح الأندلس» أن الإعداد وهو يتبع خطوات زيدان المؤلف قد فصل بين العرب والبربر، فنرى أن زيدان يذكر العرب في حوالي ٤٩ موضعاً[2]، ويذكر البربر في ١١ موضعاً[3]، وفي الرواية المعدّة ورد ذكر العرب في حوالي ١٠ مواضع[4] في حين ذكر البربر في ٣ مواضع[5].

وكان بتوجب على الرواية أن تذكر أن البربر والعرب كانوا يداً واحدة وقد وحدّ الإسلام كلمتهم وجمع قلوبهم، وهذه وقفة موجزة تبين محاولات المسلمين الأوائل في أن يتمازج العرب والبربر في المغرب العربي تحت راية التوحيد فقد شهد القرن الهجري

(١) فجر الأندلس ص ٥٦

(٢) زيدان فتح الأندلس انظر على سبيل المثال : ص٧ ، ٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٤٥ ، ١٧٨ ، ١٨٩ ، ١٩٧ ، ٢٠١ ، ٢٠٦ ، ٢٠٩ ، ٢١٥ ، ٢٢٤ ، ٢٣١ .

(٣) المرجع نفسه انظر على سبيل المثال ص٧ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٤٦ ، ٢١٢ .

(٤) فتح الأندلس انظر على سبيل المثال جـ ١ ص٥٩ ، ٦١ - ٦٣ ، جـ٢ ص٨ ، ٩ ، ١١ ، ٢٣ ، ٣٧ - ٤٠ ، ٤٢ ، ٧١ - ٧٤ ، ٨٦ - ٨٨ .

(٥) المرجع نفسه جـ ٢ ص ١٠ ، ١٣

الأول في تلك الديار جهود ولاة وقواد في محاولة لجمع البربر تحت راية الإسلام حتى يصبحوا جزءاً من الأمة الإسلامية، فعقبة بن نافع كان مهتماً بمن دخل من البربر في الإسلام، وقد أنشأ مدينة القيروان ليطمئنهم فيثبت الإسلام في تلك المنطقه وتقوى ركائزه[1]، فغدت القيروان قاعدة انطلاق لنشر الإسلام بين السكان المحليين[2]، وقد ترك عقبة بن نافع رحمه الله عندهم صحابة يعلمونهم القرآن وتعاليم الإسلام[3] واستطاع أبو المهاجر دينار، الذي تولى أمر إفريقية بعد عقبة بن نافع، أن يستميل أحد كبار القواد المحليين فوفر له شروطاً طيبة للصلح وعامل أتباعه معاملة حسنة مساوية لتلك التي كان يعامل بها العرب المسلمين[4] حرصاً منه على دخول البربر في الإسلام، وقد صالح أبو المهاجر بربر إفريقية وأحسن إلى كبير قوادهم وصالح عجم إفريقية[5]، فكان لهذه السياسة المتسامحة دور في تدعيم حركة الفتح لنشر الإسلام بينهم[6]. وعندما جاء حسّان بن النُعْمان اهتم بعملية التمازج بين العرب المسلمين والسكان المحليين أيضاً، وقد وجّه جلّ اهتمامه إلى نشر الإسلام بين السكان المحليين بواسطة الدعاة والوفود مما كان له أثر في دخول كثير من البربر في الإسلام[7]، وقد حرص على أن يمنح مسلمي البربر نصيباً مساوياً لما يأخذه مجاهدو المسلمين العرب من الغنائم[8]، وحين توجه إلى المغرب على رأس قوة أمّر على مقدمة جيشه محمداً ابن أبي بكير وهلال بن ثروان اللواتي[9] وهما من البربر، وهذا تصرف له مغزاه، إذ أنه

(١) الكامل في التاريخ جـ١ ص٤٦٥ انظر البيان المغرب جـ١ ص ٢٠، ٢٧ والبداية والنهاية م ٤ جـ ٨ ص ٤٧

(٢) فتوح مصر والمغرب ص ٢٦١ انظر رياض النفوس جـ١ ص ١٢ ـ ١٣ والبيان المغرب جـ١ ص ١٦ والمغرب الإسلامي ص ٣٨

(٣) البيان المغرب جـ١ ص ٤٢

(٤) المصدر نفسه جـ١ ص ٢٨ ـ ٢٩ انظر المغرب الإسلامي ص ٣٣

(٥) رياض النفوس جـ ١ ص ٣١، ٣٣

(٦) المغرب الإسلامي ص ٤٠

(٧) طه موسى بن نصير ص ٣٣ ـ ٣٧ انظر المغرب الإسلامي ص ٦٧

(٨) فتوح مصر والمغرب ص ٢٠١ انظر رياض النفوس جـ١ ص ٥٦ والبيان المغرب جـ١ ص٣٨ والمغرب الإسلامي ص ٦٧و٧٣ ـ ٢٧٠ انظر البيان المغرب جـ ١ ص ٢٢

(٩) فتوح مصر والمغرب ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠ انظر البيان المغرب ج ١ ص ٢٢.

لم يرد أن يفرّق في مجال ممارسة المسؤولية بين العرب والبربر المسلمين[1]، وعندما عمرت تونس وبنيت فيها دار صناعة المراكب كان للبربر دور في دار الصناعة هذه[2]، وهذا دليل على الثمار الطيبة التي أخذ المسلمون يجنونها من سياسته نحو البربر[3].

وقطف موسى بن نصير ثمار جهود من سبقوه من الولاة، فاعتمد على قوة البربر في فتوحاته في أقصى المغرب العربي، وهكذا غدا مسلمو البربر جزءاً من قوات المسلمين العسكرية المهيأة للجهاد[4]، ولابد أنهم قد اكتشفوا خلال فترة اتصالهم بالعرب عدل الإسلام ورحمته أمام ظلم الإمبراطورية البيزنطية وغيرها من أركان الشرك والكفر والضلال[5].

وكان موسى بن نصير يدرك أن لا أحد يمكن أن يفهم الجماعات البربرية التي دخلت في دين الله فهما صحيحاً ويحسن التصرف معها إلا واحداً من أبناء جنسها، وكان اختيار طارق لهذه المهمة فهو خير من يقوم بها[6] فعينه حاكماً على طنجة[7] وكان من نتائج هذا أن أخذ كثير من البربر يرغبون في الانضمام إلى طارق والإيمان بمبادىء الإسلام[8]، وما مشاركة البربر والعرب في فتح الأندلس بقيادة طارق البربري المسلم إلا دليلاً على تآلف القلوب ومدى التمازج بين العرب والبربر[9].

دور موسى بن نصير الحقيقي في الفتح :

لم يُذكر المجاهد موسي بن نصير في الرواية إلا على أنه أمير العرب وقائد عربي[10]، وقد

---

(١) المغرب الإسلامي ص ٥٩

(٢) المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ص ٣٨

(٣) المغرب الإسلامي ص ٧٣

(٤) طه موسى بن نصير ص ٥٠

(٥) العدوي موسي بن نصير ص ٣٩ انظر طه موسى بن نصير ص ٥٤ .

(٦) طه موسى بن نصير ص ٦٢

(٧) فتوح مصر والمغرب ص ٢٧٦ انظر المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص٦ ووفيات الأعيان جـ٥ ص ٣٢٠

(٨) المغرب الإسلامي ص ٨٩

(٩) المرجع نفسه ص ٩٠

(١٠) فتح الأندلس جـ١ ص ٦٠و٦٢، جـ٢ ص ١١

اقترن هذا بذكر خبيث مفاده أن موسى لم يستطع أن يهزم يوليان[1] ، فقد وقفت سبتة وحاكمها يوليان صامدين في وجه الزحف العربي[2] ، والحقيقة أن الرواية قد أشارت إلى فتح موسى لإفريقية وولايته عليها[3] وإلى إعداد موسى لحملة طريف واختياره طارق بن زياد لقيادة فتح الأندلس[4] ، ولكن هذه الإشارات وردت بمعزل عن أمر الفتح ، خاصة أن الرواية قد ركزت على طارق باعتباره بطلا فاتحاً[5] ، كما أن زيدان جعل عنوانها «فتح الأندلس أو طارق بن زياد»[6] ، وقد ورد فيها أنه هو الذي أكمل الفتح [7] ، وفي هذا إنقاص لدور موسى الحقيقي ، وتوضح الصفحات التالية بعون الله دوره الفعلي في الفتح .

لقد استطاع التابعي[8] موسى بما حباه الله من مزايا القائد المجاهد أن يهيئ المسلمين للفتح ، وقد أهلّته خبرته الطويلة في الجهاد لذلك[9] ، ولابد من التأكيد على خطته في تحصين خطوطه وهو يُعدّ العدة للفتح ، فقد وضع حراسة قوية على السواحل المغربية وكلّف طارقا بهذه المهمة [10] ويؤكد اختياره لطارق على بعد نظره وسعة خبرته العسكرية ودرايته بالرجال ، وهو اختيار له دلالة عميقة المغزى بالنسبة للسكان المحليين الذين أسلموا فقد سُلّمت قيادةُ عملية جليلة الشأن لمسلم غير عربي ، وكانت هذه دعوة للسكان المحليين الذين دخلوا في دين الله أفواجاً ليبينوا ولاءهم للعقيدة

---

(١) المرجع نفسه ج ١ ص ٦٠

(٢) المرجع نفسه جـ ٢ ص ١١

(٣) المرجع نفسه جـ ٢ ص ١٣

(٤) المرجع نفسه جـ ٢ ص ١ ، ١٢

(٥) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٨٣ ـ ٨٥، ٨٧، ٩٢ ـ ٩٤، ٩٩

(٦) زيدان فتح الأندلس (ص٣)

(٧) فتح الأندلس جـ٢ ص ٩٩

(٨) (١) البداية والنهاية م ٥ جـ ٩ ص ١٧١ انظر وفيات الأعيان جـ٥ ص ٣١٨ والذهبي سير أعلام النبلاء جـ ٤ ص ٤٩٧ .

(٩) الكامل في التاريخ جـ ٤ ص ٥٤٠ انظر وفيات الأعيان جـ٥ ص ٣١٩ ـ ٣٢٠
والبداية والنهاية م ٥ جـ ٩ ص ١٧١ ، ١٧٣ ومختصر تاريخ دمشق جـ٢٦ ص ١٣ ، ١٦ ، ١٩

(١٠) كتاب التاريخ ص ١٣٦ انظر طه موسى بن نصير ص ٦٦

(١١) طه موسى بن نصير ص ٩٩

التي آمنوا بها، وقد كان مع جيش المسلمين عند الفتح مجاهدون من التابعين لايقلون قدرة عن طارق[1] من أمثال عبد الملك بن أبي عامر المعافري وعامر اللخمي ومغيث الرومي[2]، فشد موسى أزره ومن معه من الجند بهيئة من كبار المسلمين المجاهدين ليكونوا بمثابة مجلسه الاستشاري ومساعديه في إدارة المعارك[3]، وكان طارق حلقة في سلسلة الفتح، وكان موسى مخططاً للعملية لمدة سنوات والمشرف على تنفيذها بدقة وسرية، وكان يدرك مسؤولية الخليفة فراح يتابع إعلامه بأمر الفتح أولاً بأول[4]، وقد استطاع أن يدبر أمور الاستعدادات الحربية دون أن يتسرب أمرها إلى القوط، ودون أن يتنبه يوليان نفسه إلى حقيقة أهدافها[5]، وقد استعان موسى بحملة مكونة من خمسة آلاف جندي حتى لا تثير كثرة عددها ريبة يوليان ومخاوفه، وكان يحرص على أن تكون الاتصالات مع جند المسلمين في الأندلس مستمرة[6]، وعندما طلب طارق الإمدادات كان موسى مستعداً، فأرسل إليه خمسة آلاف جندي من خيرة جنده نقلتهم سفن الأسطول البحري الإسلامي، ومما يدل على يقظته وقدرته على تصريف الأمور بحكمة وسرعة أنه بعث هذه الإمدادات تحت قيادة طريف الذي قاد أول حملة استطلاعية في الأندلس ليضمن تجنب أي تأخير قد ينجم عن عدم معرفته الطرق[7]، وبذلك سار على النهج الذي سارت عليه فتوح المسلمين الكبرى وهو إرسال حملة صغيرة العدد تتبعها إمدادات لا تنتهي من الكثرة وحسن الاستعداد لتحقيق الأهداف المرجوة كما حدث في فتوح الشام ومصر وبلاد المغرب ذاتها[8].

---

(١) طارق بن زياد ص ١٢٥ انظر طه موسى بن نصير ص ٩٩

(٢) أخبار مجموعة ص ١٩ ـ ٢٣ انظر البيان المغرب جـ٢ ص٩ والروض المعطار ص ٣٣، ٣٠٣ والعدوي موسى بن نصير ص ٨٠ وفجر الأندلس ص ٦٨ وطه موسي بن نصير ص ٩٩ وطارق بن زياد ص ٦٣

(٣) طه موسى بن نصير ص ٩٩ ـ ١٠٠

(٤) المرجع نفسه ص ٩٨

(٥) العدوي موسي بن نصير ص ٧٨

(٦) الاكتفاء في أخبار الخلفاء ص ٤٨ انظر طه موسي بن نصير ص ١١٧

(٧) طه موسى بن نصير ص ١٠٥ ـ ١٠٦ انظر فجر الأندلس ص ٧٢ والتاريخ الأندلسي ص ٥٢ ـ ٥٣ والفتح الإسلامي للأندلس ص ١١٤ ـ ١١٥

(٨) العدوي موسي بن نصير ص ٧٩

ولم يترك موسى جيش المسلمين في تلك الأراضي الشاسعة وحدهم فقد عزم على دخولها في رمضان سنة٩٣هـ(١) لتدعيم موقفهم(٢) وبرفقته جيش يقدر عدده بنحو ثمانية عشر ألف مجاهد(٣) فيهم عدد من التابعين رضوان الله عليهم(٤)، ووصل إلى الجزيرة الخضراء حيث توافت إليه الجنود، وقبل أن يغادرها أسس مسجد الرايات(٥)، ولعله أول مسجد قام المسلمون ببنائه في الأندلس(٦).

وكان موسى على علم بخط سير حملة طارق ومدى توغله في البلاد(٧)، وقد رأى أنهم تمكنوا من قواعد في الوسط وما يجاورها من مدن الجنوب الشرقي، فاتجه تفكيره إلى غرب البلاد وجنوبها الغربي(٨) فسار إلى شذونة(٩) وافتتحها عنوة فكانت أولى فتوحاته(١٠)، ثم تحرك نحو قرمونة(١١) «ولم يكن بالأندلس أحصن منها ولا أبعد من أن تنال بحصار أو قتال»(١٢) وتمكن من فتحها بالحيلة(١٣)، ثم اتجه إلى اشبيلية(١٤) التي هي

(١) البيان المغرب جـ٢ ص ١٢، ١٨ انظر أخبار مجموعة ص٢٤ ـ ٢٦ ونفح الطيب جـ١ ص ٢٦٩

(٢) المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص ٨ انظر الفتح الإسلامي للأندلس ص ١٣١

(٣) البيان المغرب جـ٢ ص ١٢ انظر نفح الطيب حـ ١ ص٢٦٩ والتاريخ الأندلسي ص ٦٩ وطه موسى بن نصير ص ١١١ والفتح الإسلامي للأندلس ص ١٣٠ ـ ١٣١

(٤) كتاب التاريخ ص ١٣٨ انظر نفح الطيب جـ ١ ص ٢٧٨ ـ ٢٧٩، ٢٨٧ ـ ٢٨٨ والتاريخ الأندلسي ص ٧١ والفتح الإسلامي للأندلس ص ١٣٢

(٥) نزهة المشتاق (القارة الإفريقية) ص ٢٦٣ انظر المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص ٧ والروض المعطار ص ٢٢٤ والتاريخ الأندلسي ص ٧٣ والفتح الإسلامي للأندلس ص ١٣٢

(٦) الفتح الإسلامي للأندلس ص ١٣٢

(٧) الفتح الإسلامي للأندلس ص ١٣١ انظر فجر الأندلس ص ٨٤

(٨) الفتح الإسلامي للأندلس ص ١٣٢

(٩) شذونة : مدينة بالأندلس من أعمال اشبيلية (معجم البلدان جـ٣ ص ٣٢٩)

(١٠) البيان المغرب جـ ٢ ص ١٣ انظر أخبار مجموعة ص ٢٤ ونفح الطيب جـ١ ص ٢٦٩ والتاريخ الأندلسي ص ٧٣ والفتح الإسلامي للأندلس ص ١٣٣

(١١) قرمونة : مدينة بالأندلس كبيرة وقديمة شرقي أشبيلية (الروض المعطار ص ٤٦١)

(١٢) البيان المغرب جـ ٢ ص ١٣ انظر أخبار مجموعة ص ٢٤ والتاريخ الأندلسي ص ٧٣

(١٣) البيان المغرب جـ ٢ ص ١٣ ـ ١٤ انظر أخبار مجموعة ص ٢٤ والفتح الإسلامي للأندلس ص ١٣٣

(١٤) اشبيلية : مدينة بالأندلس جليلة غربي قرطبة قريبة من البحر على شاطيء نهر كبير (معجم البلدان جـ ١ ص ١٩٥ والروض المعطار ص ٥٨ ـ ٥٩)

«أعظم مدائن الأندلس شأناً وخطباً، وأعجبها بنياناً وآثاراً»[1] وظل المسلمون على حصارها عدة أشهر حتى تمكنوا من فتحها[2]، وبعدها سار إلى مدينة ماردة[3] وكانت دار بعض ملوك الأسبان[4] ويقال إنها مدينة حصينة لها سور لم يبن الناس مثله[5] وقد قاومت مقاومة شديدة وحاصرها المسلمون مدة طويلة حتى اضطر سكانها إلى عقد صلح مع موسى[6]، ثم عمل بعد ذلك على فتح الأجزاء الشمالية والشمالية الغربية للأندلس متعاوناً في ذلك مع طارق وجنده[7]، وكذلك عمد إلى إرسال حملات بقيادة بعض أولاده إلى جهات متعددة لاسيما في الجنوب والجنوب الشرقي، فمن ذلك توجه عبد العزيز بن موسى إلى منطقة تُدْمير[8] حيث تركزت المقاومة القوطية، وبعد مقاومة قصيرة توصل حاكم المنطقة إلى عقد معاهدة صلح معه[9].

وقد استطاع موسى بفضل سياسته الحكيمة ومرونته أن يظهر لشعب الأندلس بأن المسلمين لم يدخلوا إلى البلاد قاهرين، بل دخلوا فاتحين تركوا لهم حرية المعتقد ولم يتدخل في شؤونهم الإدارية، ونتج عن هذا أن أنس أهل البلاد إلى المسلمين فاعتنقوا الإسلام

---

(١) أخبار مجموعة ص ٢٥ انظر البيان المغرب جـ٢ ص ١٤ ونفح الطيب جـ١ ص٢٦٩

(٢) البيان المغرب جـ ٢ ص ١٤ انظر أخبار مجموعة ص ٢٥ والفتح الإسلامي للأندلس ص ١٣٣ - ١٣٤

(٣) مازدة : مدينة بجوفي قرطبة منحرفة إلى المغرب قليلاً، وكانت مدينة ينزلها الملوك الأوائل وفيها آثار قديمة حسنة (الروض المعطار ص ٥١٨ ومعجم البلدان جـ ٥ ص ٣٨ - ٣٩)

(٤) البيان المغرب جـ ٢ ص ١٤ انظر أخبار مجموعة ص ٢٥ والفتح الإسلامي للأندلس ص ١٣٤

(٥) أخبار مجموعة ص ٢٥ انظر التاريخ الأندلسي ص ٧٦

(٦) البيان المغرب جـ٢ ص ١٤ - ١٥ انظر أخبار مجموعة ص ٢٥ - ٢٦ والتاريخ الأندلسي ص ٧٦ - ٧٧ والفتح الإسلامي للأندلس ص ١٣٤ - ١٣٥

(٧) نفح الطيب جـ١ ص ٢٧٣، ٢٧٥ - ٢٧٦ انظر طه موسى بن نصير ص ١١٨ - ١١٩ والتاريخ الأندلسي ص ٩١ - ٩٤ والفتح الإسلامي للأندلس ص ١٤٦ - ١٤٧

(٨) تُدْمير : من كور الأندلس وهي شرقي قرطبة وقد سميت باسم ملكها تدمير (معجم البلدان جـ ٢ ص ١٩، والروض المعطار ص ١٣١)

(٩) نفح الطيب جـ١ ص ٢٦٣ - ٢٦٤ انظر الروض المعطار ص ١٥١ - ١٥٢ وموسى بن وطه موسى بن نصير ص ١١٩ - ١٢٠ والتاريخ الأندلسي ص ٧٨ - ٨٣

عن اقتناع كامل بفضائله[1] . أما على الصعيد الإداري فقد تمكن في المدة التي قضاها في البلاد وقد تجاوزت السنتين[2] من تنظيم أحوالها الإدارية والمالية[3] حتى يجنبها الاضطرابات، فمن ذلك أنه أمر بسك عملة ذهبية دفع منها رواتب الجند[4]، وقسّم الأراضي التي تم الاستيلاء عليها وفقاً للشرع في حين أنه ترك الأراضي التي افتتحت بيد أصحابها مقابل دفع العشر[5]، ولم يترك البلاد دون أن يطمئن على سلامتها ويضمن استمرار الأمن فيها، فقد شكّل حكومة بقيادة ولده عبد العزيز الذي أصبح والي البلاد وأحاطه بمجموعة من المستشارين[6] .

وهكذا تبين دور موسى في فتح البلاد وتثبيت دعائم الإسلام فيها، فلا عجب أن يصفه بعض المؤرخين بأنه صاحب فتح الأندلس[7]، وهو الكريم الشجاع[8] الورع التقي[9] ذو الرأي والعزم والتدبير والحزم والخبرة بالحرب[10] الذي لم يهزم له جيش قط[11] ولم يسمع بمثل سباياه[12] لكثرتها، وهذا لا يعني التقليل من شأن طارق وغمضه حقه .

---

(١) طه موسى بن نصير ص ١٢٥ ـ ١٢٦

(٢) البيان المغرب جـ ٢ ص ١٢، ١٨ انظر المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص ٨

(٣) المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص ٨

(٤) فجر الأندلس ص ١٠٠ ـ ١٠١ انظر الفتح الإسلامي للأندلس ص ١٤٢ وطه موسى بن نصير ص ١٢٦

(٥) طه موسى بن نصير ص ١٢٧

(٦) البيان المغرب جـ ٢ ص ٢٣ انظر المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص ٨ ونفح الطيب جـ١ ص ٢٧٦ وطه موسي بن نصير ص ١٢٩

(٧) نزهة المشتاق (القارة الإفريقية) ص ٢٤٧ والمعجب في تلخيص أخبار المغرب ص ٨ ، ١٠ ووفيات الأعيان جـ٥ ص ٣١٨ وسير أعلام النبلاء جـ ٤ ص ٤٩٦ ومختصر تاريخ دمشق جـ ٢٦ ص ١٣

(٨) نزهة المشتاق (القارة الإفريقية) ص ٢٤٧

(٩) وفيات الأعيان جـ ٥ ص ٣١٩

(١٠) البداية والنهاية م٥ جـ٩ ص ١٧٩ انظر سير أعلام النبلاء جـ٤ ص ٤٩٧ ، ٤٩٩

(١١) وفيات الأعيان جـ٥ ص ٣١٩ انظر البيان المغرب جـ٢ ص ١٢، ٢١ وسير أعلام النبلاء جـ ٤ ص ٤٩٩

(١٢) نفح الطيب جـ ١ ص ٢٣٩ انظر البداية والنهاية م ٥ جـ٩ ص ١٧١، ١٧٣

الفصل الثالث : النتائج :

بيّنت الصفحات السابقة كيف تناولت الرواية جوانب من تاريخ فتح الأندلس وأموراً عديدة عن الإسلام يعتبر القارىء أنها الحق خاصة أن مؤلفها جورجي زيدان يتعامل مع التاريخ الإسلامي تعاملاً يبدو موضوعياً ومنصفاً، فيحاول أن يظهر جوانب حسنة منه في حين أنه يستغل الفرص ليتعرض للإسلام بأسلوبٍ لا يشعر القارىء أن فيه إساءة أو هجوماً، بل يوهمه أنه ملتزم بالحق أمين في النقل والعرض، ومن هنا يبرز الخطر في أعماله. وقد كان يتوجب على الإعداد التنبه إلى هذا الأمر فإن مسؤوليته لا تقل أهمية عن التأليف وهو يتوجه للنشء، فكان عليه أن يتبين حقيقة دوافع الكاتب غير المنصف وأثر ما يقدم من خلال أعمال مضللة. والخطر يكمن عندما يقرأها أولاد الأمة ويعتقدون أنها تمجد بطولات المسلمين وتظهر صفحات مشرقة من تاريخهم وهم لا يملكون ملكات التمييز الناضجة بسبب إنتاج فكري ثقافي ضخم يكاد يسيطر على عقولهم الغضة ويحيد بهم عن الصراط المستقيم في غياب تربية حميدة موجهة ذات أثر قوي، وينتج عن هذا أنهم ينظرون إلى تاريخهم نظرة ريب وشك، وهذا يؤدي إلى قطع صلتهم بالإسلام لأن ميزة هذا التاريخ ارتباطه الوثيق بالعقيدة. ولو كان حال الأمة غير هذه ما كان لهذه الرواية وغيرها أن تكون ضمن ثقافة النشء، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وتبرز في هذا المقام أمور كان ينبغي التنبه إليها قبل الشروع في إعداد الرواية :

١ ـ الأخطاء التاريخية العديدة التي وردت في ثنايا العمل مثل بيان أن أهداف الفتح كانت مادية تتعلق بالغنائم والخيرات والنساء والمجد والفخار، وأن طارق بن زياد هو صاحب الفتح في حين بدا دور موسى بن نصير هامشياً، وأن الفتح ماكان ليتم لولا جهود النصارى واليهود، وفي هذا مغالطة تاريخية وتعظيم لهم رغم ضلالهم وفساد معتقدهم.

٢ ـ أظهر الإعداد جوانب من معتقدات النصارى واليهود وطقوسهم الدينية دون أن يدرك خطورتها وأثرها في الرفع من شأنهم فبقيت الرواية محافظة على رؤية الكاتب غير

الإسلامية، وهذا أمر غير مقبول في أدب موجه للنشء. ولعل هذا المقام يذكرنا بحال اليهود خلال الحكم الإسلامي وما لقوه من تسامح فكانوا يمارسون شعائرهم الدينية بحرية ولم يُكرهوا على الدخول في الإسلام[1]، ولم تكن حال النصارى مختلفة فقد لقوا تسامحاً من المسلمين وكانوا أحراراً في عباداتهم ولَمْ يعتد على حقوقهم[2] وقد أحسّ الناس من أهل الذمة حسن معاملة المسلمين[3]، ولكن عندما قويت شوكة النصارى وأخذوا يكيدون للمسلمين[4] وضع اليهود أنفسهم في خدمتهم وتنكروا للمسلمين إثر زوال الحكم الإسلامي عن الأندلس رغم أنه لم يحسن إليهم أحد في التاريخ مثلما أحسن المسلمون إليهم[5].

٣ ـ قدمت الرواية مفاهيم خاطئة عن العقيدة والجهاد والحكم وأهل الذمة من خلال أشخـاص يستمـدون تصـوراتهم من أهـوائهم، ولم يدرك الإعـداد خطورة تلك التصورات الصادرة عن غير المسلمين لأنها تعمل على زعزعة أصول عقيدة النشء فهم يتلقـونها على أساس أنها القيم المرجوة وتتعزز في نفوسهم بسبب ندرة الأعمال الصالحة البديلة.

٤ ـ أفردت الرواية مساحة كبيرة لقصة الحب بين فلورندا وألفونس وبالغت في تصوير أثره على ألفـونس بحيث كان المحرك الحقيقي لأفعاله، كما اهتمت بإبراز محاسن فلورندا المادية التي فتنت الملك لوذريق ودفعته إلى محاولة الاعتداء عليها والتي أثارت المجاهد بدراً فجعلته يقع في حب صاحبتها رغم أنه أخوها وهذه مما لا يصح أن يقدم للنشء لما يثير في نفوسهم من عواطف غير حميدة، خاصة أنهم في مرحلة عمرية حرجة

---

(١) فجر الأندلس ص ٥٢٣

(٢) التاريخ الأندلسي ص ١٤١، ١٥٧ ـ ١٥٨ انظر

Lindo, E. H. The History of the Jews of Spain and Portugal P. 39 - 40

(٣) التاريخ الأندلسي ص ١٥٧

(٤) انظر على سبيل المثال محمد عبده حتامله التنصير القسري لمسلمي الأندلس ص ٥٩ ـ ٦٠، ٦٣ ـ ٦٨، ٨٥ ـ ٨٦ وأسعد حومد محنة العرب في الأندلس ص ١٣٥ ـ ١٨٠ وعبد الواحد ذنون طه حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس ص ٢٣ ـ ٢٤، ٢٨ ـ ٣٩

(٥) فجر الأندلس ص ٥٢٧ ـ ٥٢٨ انظر

The History of the Jews P. 40

يقبلون فيها على مرحلة الرجولة المبكرة وما يرافق هذا الانتقال من تغييرات في أجسامهم وعواطفهم.

٥ ـ لمْ يُراعِ الإعداد الجوانب الفنية في بناء الشخصيات فمن ذلك التناقض في مواقف فلورندا وتذبذب شخصية ألفونس وعدم وجود توازن بين كونه حاكماً مرجواً ومحباً تطغى عليه عواطفه وعدم الكشف عن شخصية يعقوب اليهودي مما أدى إلى تعاطف القارىء معها.

٦ ـ وجدت في الرواية مصطلحات عديدة خاصة بالنصارى واليهود، إضافة إلى أخطاء لغوية عديدة[1] كان ينبغي مراجعتها قبل نشرها.

والمقام مناسب للحديث عن دور الكُتاب ومسؤوليتهم في أداء الأمانة ودور العلماء المتخصصين في موضوعات تقدم للنشء وخاصة في مجال التاريخ الإسلامي فيتصدون لما يقدم من أباطيل ومفتريات وأكاذيب ويفوّتون الفرص على من يضلل عن قصد أو غير قصد لأن الأمر يتعلق بكيان أمة ومصيرها ومستقبلها فلابد أن يوجهوا ويدققوا ويبدوا النصح والإرشاد ودورهم في هذا المجال لا يقل أهمية عن دور الكتّاب أنفسهم، فأدب الأطفال ليس مجرد تسلية وثقافة بالمفهوم الغربي السائد، بل هو وسيلة مهمة تُسْهمُ في إيجاد الأجيال التي نريد للأمة، والله ينصر من ينصره.

وفي ختام الحديث عن الأندلس نقول كما قال علماؤنا رحمهم الله: «أعادها الله للإسلام»[2]. وأن آخر دعوانا الحمد لله.

(١) فتح الأندلس انظر على سبيل المثال جـ١ ص ٦، ١٩، ٢٥، جـ٢ ص ١٢، ١٤، ١٩، ٤٠، ٦٥، ٦٦، ٨٢، ٨٨، ٨٩

(٢) نفح الطيب جـ١ ص ١٦٥ انظر التاريخ الأندلسي ص ٥٧٨

المصـــادر

١ - القرآن الكريم.

٢ - ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن على بن محمد الجزري، ٥٥٥ - ٦٣٠هـ أسد الغابة في معرفة الصحابة - بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٣ - الكامل في التاريخ - بيروت : دار صادر، ١٩٨٢.

٤ - الإدريسي، أبـو عبـد الله محمد بن محمد الحسني، ٤٩٣ - ٥٦٠هـ القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس: مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق؛ تحقيق إسماعيل العربي - الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٨٣.

٥ - الإمامة والسياسة (المنسوب لابن قتيبة) - ط ٢ - القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٥٧.

٦ - البخـاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، ١٩٤ - ٢٥٦هـ صحيح البخاري - القاهرة : مطابع الشعب، ١٩٥٨.

٧ - البكـري، أبـو عبيد الله بن عبد العزيز، نحو ٤٣٢ - ٤٨٧هـ المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جرء من كتاب المسالك والمالك - بغداد: مكتبة المثنى (طبعة مصورة).

٨ - البلاذري ، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر، - نحو ٢٧٩هـ فتوح البلدان، تحقيق . دى غوية - ليدن: بريل، ١٩٦٨

٩ - ابن تيمية، تقي الـدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني، ٦٦١ - ٧٢٨هـ الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح - القاهرة: المؤسسة السعودية، ١٩٦٤.

١٠ - ابن حبيب، عبـد الملك، نحـو ١٨٥ - ٢٣٨هـ كتاب التأريخ؛ دراسة وتحقيق خورخي اغوادي - مدريد: المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، ١٩٩١.

١١ - الحميدي، أبـو عبـد الله محمد بن أبي نصر، ٤٢٠ - ٤٨٨هـ جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس؛ تحقيق إبراهيم الأبياري - القاهرة دار الكتب الإسلامية، ١٩٨٢.

١٢ - الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبدالله بن عبد المنعم، - نحو ٧١٠هـ الروض المعطار في خبر الأقطار؛ تحقيق إحسان عباس - بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٤.

١٣ - ابن حنبل، أبو عبدالله أحمد بن محمد الشيباني، ١٦٤ - ٢٤١هـ مسند الإمام أحمد بن حنبل - بيروت: دار الفكر العربي.

١٤ ـ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي ، ٧٣٢ ـ ٨٠٨هـ كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ـ بيروت : مؤسسة جمال، ١٩٧٩ .
١٥ ـ ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر، ٦٠٨ ـ ٦٨١هـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان؛ تحقيق إحسان عباس ـ بيروت : دار صادر، ١٩٧٨ .
١٦ ـ أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، ٢٠٢ ـ ٢٧٥هـ صحيح سنن أبي داود؛ صحح أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني ـ الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٩٨٩ .
١٧ ـ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ، ٦٧٣ ـ ٧٧٤هـ سير أعلام النبلاء؛ تحقيق شعيب الارناؤط ـ وآخرين ـ بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٩٨١ .
١٨ ـ ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد الزهري، ١٦٨ ـ ٢٣٠هـ الطبقات الكبرى ـ بيروت : دار صادر.
١٩ ـ ابن الشباط، محمد بن علي بن محمد التوزري، ـ ٦٨١هـ صلة السمط وسمة المرط؛ تحقيق أحمد مختار العبادي ـ صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد مجلد ١٤ ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨ ص ٩٩ ـ ١٦٣ .
٢٠ ـ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، ٢٢٤ ـ ٣١٠هـ تاريخ الأمم والملوك ـ بيروت : دار القلم .
٢١ ـ ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله ، ١٨٧ ـ ٢٥٧هـ فتوح مصر والمغرب؛ تحقيق عبد المنعم عامر ـ القاهرة: لجنة التأليف والترجمة، ١٩٦١ .
٢٢ ـ ابن عذاري، أبو عبد الله أحمد بن محمد المراكشي، ـ ٦٥٠هـ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب؛ تحقيق ج. س. كتولان و ١. ل. بروفنسال ـ ليدن: بريل، ١٩٤٨ ـ ١٩٥١ .
٢٣ ـ الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الشيرازي، ٧٢٩ ـ ٨١٧هـ القاموس المحيط ـ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦ .
٢٤ ـ ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر، ـ ٣٦٧هـ تاريخ افتتاح الأندلس؛ تحقيق إبراهيم الأبياري ـ القاهرة: دار الكتب الإسلامية، ١٩٨٢ .
٢٥ ـ ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر، ٦٩١ ـ ٧٥١هـ أحكام أهل الذمة؛ حققه صبحي الصالح ـ ط ٣ ـ بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٣ .
٢٦ ـ ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر، ٧٠١ ـ ٧٧٤هـ البداية والنهاية ـ بيروت : دار الكتب العلمية، ١٩٨٥ .

٢٧ ـ تفسير القرآن العظيم ـ بيروت: دار المعرفة، ١٩٨٠.

٢٨ ـ ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك التوزري، النصف الآخر من القرن ٦هـ الاكتفاء في أخبار الخلفاء؛ تحقيق أحمد مختار العبادي ـ صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد مجلد ١٣ ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦ ص ٤١ ـ ١٢٦.

٢٩ ـ المالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد، النصف الأول من القرن ٥هـ ـ بعد ٤٦٠هـ رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية؛ تحقيق بشير البكوش ـ بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٣.

٣٠ ـ الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، ـ ٤٥٠هـ الأحكام السلطانية والولايات الدينية ـ القاهرة: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦٠.

٣١ ـ المراكشي، محي الدين عبد الواحد بن علي، ٥٨١ ـ ٦٤٧هـ المعجب في تلخيص أخبار المغرب ـ امستردام: المطبعة الشرقية، ١٩٦٨.

٣٢ ـ مسلم، أبو الحسين مسلم بن حجاج، ٢٠٤ ـ ٢٦١هـ صحيح مسلم بشرح النووي ـ القاهرة: المطبعة المصرية، ١٩٣٠.

٣٣ ـ المقّري، أبو العباس أحمد بن محمد، ٩٩٢ ـ ١٠٤١هـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ تحقيق إحسان عباس ـ بيروت: دار صادر، ١٩٦٨.

٣٤ ـ المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، ٧٦٦ ـ ٨٤٥هـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط المعروف بالخطط المقريزية ـ بيروت: دار صادر.

٣٥ ـ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ٦٣٠ ـ ٧١١هـ مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر؛ تحقيق روحية النحاس وآخرين ـ دمشق: دار الفكر، ١٩٨٤.

٣٦ ـ مؤلف مجهول أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها؛ تحقيق إبراهيم الأبياري ـ القاهرة: دار الكتب الإسلامية، ١٩٨١م.

٣٧ ـ النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي، نحو ٢١٤ ـ ٣٠٣هـ سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي ـ بيروت: دار الفكر، ١٩٣٠.

٣٨ ـ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، ٦٧٧ ـ ٧٣٢هـ نهاية الأرب في فنون الأدب ـ القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

٣٩ ـ ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، ـ ٢١٣هـ السيرة النبوية؛ تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الابياري عبد الحفيظ شلبي ـ القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٣٦.

٤٠ - ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، ٥٧٤ - ٦٢٦هـ معجم البلدان - بيروت : دار صادر، ١٩٥٧ .
٤١ - أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم، ١١٣ - ١٨٢هـ كتاب الخراج - القاهرة: المطبعة السلفية.

المراجع

١ - إبراهيم أحمد العدوي موسى بن نصير مؤسس المغرب العربي - القاهرة : دار الكتاب العربي، ١٩٦٧ .
٢ - أحمد مختار العبادي دراسات في تاريخ المغرب والأندلس - الأسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٢م
٣ - في تاريخ المغرب والأندلس بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٧٢ .
٤ - أسعد حومد محنة العرب في الأندلس - بيروت : المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٨٠ .
٥ - جورجي زيدان فتح الأندلس أو طارق بن زياد - بيروت : دار مكتبة الحياة.
٦ - فتح الأندلس؛ إعداد محمود سالم - بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٧٨ .
٧ - حسين مؤنس فجر الأندلس : دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية ٧١١ - ٧٥٦م - ط٢ - جدة: الدار السعودية، ١٩٨٥ .
٨ - دوزي، رينهرت تاريخ مسلمي أسبانيا . الحروب الأهلية؛ ترجمة حسن حبشي - القاهرة : دار المعارف، ١٩٦٣ .
٩ - سوادي عبد محمد طارق بن زياد: حياته - ظهوره - نسبه - خططه العسكرية ووقائعه في الأندلس والمغرب : دراسة تحليلية نقدية - بغداد : دار الشؤون الثقافية، ١٩٨٨ .
١٠ - السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط - الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٧١ .
١١ - شوقي أبو خليل جرجي زيدان في الميزان - دمشق : دار الفكر، ١٩٨١ .
١٢ - ضيا باشا الأندلس الذاهبة تعريب عبد الرحمن ارشيدات - عمان : وزارة الثقافة، ١٩٨٩ .
١٣ - عبد الرحمن علي الحجي التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ٩٢ - ٨٩٧هـ - ط ٢ - دمشق : دار القلم، ١٩٨١ .
١٤ - عبد القادر أبو فارس القاضي أبو يعلى الفراء وكتابه الأحكام السلطانية - عمان : وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية، ١٩٨١ .

١٥ ـ عبد الواحد ذنون طه حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة ـ بغداد : دار الشؤون الثقافية، ١٩٨٨ .
١٦ ـ موسى بن نصير ـ بغداد : دار الشؤون الثقافية، ١٩٨٨ .
١٧ ـ محمد بسام ملص عذراء قريش في أدب الأطفال : دراسة نقدية ـ الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٨٨ .
١٨ ـ محمد عبد الحميد عيسى صقر الفتح الإسلامي للأندلس ـ القاهرة : جامعة عين شمس، ١٩٨٥ .
١٩ ـ محمد عبده حتامله.التنصير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثوليكيين (١٤٧٤ ـ ١٥١٦م) ـ عمان : الجامعة الأردنية، ١٩٨٠ .
٢٠ ـ محمد فؤاد عبد الباقي المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ استانبول : المكتبة الإسلامية، ١٩٨٤ .
٢١ ـ موسى لقبال المغرب الإسلامي ـ ط٢ مزيدة ـ الجزائر : الشركة الوطنية، ١٩٨١ .

الدوريات :

١ ـ جورجي زيدان فتح الأندلس أو طارق بن زياد.الهلال السنة الحادية عشرة أكتوبر ١٩٠٢ ـ يوليو ١٩٠٣ ملحق ص١ ـ ٣١٤ .

المراجع باللغتين الإنجليزية والفرنسية :

1. Dozy, Reinhart Spanish Islam: A history of the Moslems in Spain; tr. by Stokes, Francis G. London: Frank Cass, 1972.
2. Hole, Edwyn Andalus: Spain under the Muslims. London: Robert Hale, 1951.
3. Lewis, Archibald R. Naval Power and Trade in the Mediterranean A.D. 500 – 1100. Princeton: Princeton University, 1951.
4. Lindo, E. H. The History of the Jews of Spain and Portugal. New York: Burt Franklin, 1970.
5. Read, Jan The Moors in Spain and Portugal. London: Faber and Faber, 1974.
6. Sanchez - Albornoz, Claudio L'Espagne Musulmane ; tr. Faraggi, C. (s.l.): Office des Publications Universitaires, 1985.

ملخص باللغة الإنجليزية :

Fath el-Andalus, in children's literature: a critical study.

This study is about Fath el-Andalus' one of Georgy Zeidan's novels on the Islamic history prepared for the young by Mahmoud Salem. The study shows that Salem. following Zeidan's steps. hasn't paid much attention to Zeidan's aims in writing the novel.

The novel's main concern is on the non-Muslim side, shedding much light on the Christian and Jewish religious beliefs and practises. On the other hand the novel belittles the Muslim achievement in capturing el-Andalus. The role of the Christians and the Jews in the capturing is exaggerated to the extent that such an achievement couldn't have been attained without their efforts. Moreover, the novel stresses the fact that the Muslim aim in the capturing has been for the loot. The study refutes these historical falsities. It also shows the impact which the simplified novel has on the young Muslims concerning some Islamic issues. such as Jihad (the fight for Allah sake) and the Islamic ruling doctrine as viewed and presented by Zeidan in the novel.

الفهـــرس

مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



ردمك : ٢ـ٠٧١ـ٠٤ـ٩٩٦٠